

# التَّثْبِيتُ

عناصر الموضوع

|     |                              |
|-----|------------------------------|
| ١٦٤ | مفهوم التثبيت                |
| ١٦٥ | التثبيت في الاستعمال القرآني |
| ١٦٦ | الألفاظ ذات الصلة            |
| ١٦٩ | أهمية التثبيت                |
| ١٧٤ | مجالات التثبيت               |
| ١٨٩ | خطر الإشاعة وضررها           |
| ١٩٤ | فوائد التثبيت                |
| ١٩٧ | وسائل التثبيت                |
| ٢٠٦ | نماذج قرآنية في التثبيت      |
| ٢١٤ | نماذج قرآنية في عدم التثبيت  |

## مفهوم التثبيت

### أولاً: المعنى اللغوي:

التثبيت مأخوذ من الفعل ثبت، ويطلق في اللغة على أمور:  
 التآني أو التريث وعدم الاستعجال، تقول: تثبت في الأمر والرأي، واستثبت: تآني فيه ولم يعجل، واستثبت في أمره: إذا شاور وفحص عنه<sup>(١)</sup>.  
 ١. طلب ما يكون به الثبات على الأمر؛ أي: لزومه وعدم التحول عنه أو تجاوزه إلى غيره، وبعبارة أخرى؛ طلب الدليل الموصول إلى الثبات على الأمر، فيقال: فلان ثابت عندي، ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم ثابتة<sup>(٢)</sup>.  
 ٢. التأكد من حقيقة ما يعين على الثبات في الأمر، وبعبارة أخرى: فحص الدليل الموصول إلى الثبات في الأمر، تقول: أثبت الأمر: حققه، صحّحه، وأثبت الكتاب: سجّله، وأثبت الحق: أقام حجّته، وأثبت الشيء: عرفه حق المعرفة<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

يمكن تعريف التثبيت بأنه: التآني وعدم التسرع في كل الأحوال التي يقع للإنسان فيها نوع اشتباه، حتى يتضح له الأمر، ويتبين الرشد والصواب والحقيقة، وإفراغ الجهد والوسع لمعرفة حقيقة الحال المراد<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ١٤ / ١٩١، مختار الصحاح، الرازي ص ٤٨، لسان العرب، ابن منظور ١٩ / ١٢.

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ١٧١.

(٣) انظر: أساس البلاغة، الزمخشري ١ / ٦٩، مختار الصحاح، الرازي ص ٤٨.

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٥ / ٧٠، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٨٢، الموسوعة الفقهية الكويتية ١٠ / ١٤٢.

### التثبّت في الاستعمال القرآني

ورد لفظ (التثبّت) في القرآن الكريم (٣) مرات، في سورتين، في قراءة حمزة والكسائي وخلف<sup>(١)</sup>.

والصيغة التي وردت هي:

| الصيغة    | عدد<br>المرات | المثال                                                                                              |
|-----------|---------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------|
| فعل الأمر | ٣             | ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرِئْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَثَبُّوا﴾<br>[النساء: ٩٤] |

وجاء التثبّت في القرآن الكريم بمعناه اللغوي الذي يدور حول التأني والترث و عدم الاستعجال.

(١) انظر: معاني القراءات، الأزهرى ١ / ٣١٥، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي ص ٨٣.

## الألفاظ ذات الصلة

### ١ التبيين:

#### التبين لغة:

مصدر تبين إذا ثبت في الأمر. ويقال: تبينت الأمر أي: تأملت وتوسّمت، واستبنت الشيء إذا تأملت حتى تبين لك. والبيان: ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها. وبان الشيء بياناً: اتضح، فهو بين، وكذلك أبان الشيء فهو مبين. وأبنته أنا أي: أوضحته، واستبان الشيء: ظهر. واستبنته أنا: عرفته، وتبين الشيء: ظهر<sup>(١)</sup>.

#### التبين اصطلاحاً:

مرتبة من مراتب وصول العلم يراد بها طلب الحقيقة بعد التباسها. يقول الكفوي: «اعلم أن مراتب وصول العلم إلى النفس: الشعور ثم الإدراك ثم الحفظ ثم التذكر ثم الذكر ثم الرأي، وهو استحضار المقدمات وإزالة الخاطر فيها، ثم التبين وهو علم يحصل بعد الالتباس، ثم الاستبصار وهو العلم بعد التأمل...»<sup>(٢)</sup>.

#### الصلة بين الثبوت والتبين:

يرى بعض أهل العلم أن الثبوت والتبين بمعنى واحد، وذلك عند توجيههم لقراءة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، و﴿فَتَبَيَّنُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

ويرى بعضهم أن المعنيين متقاربين؛ لأن من تبين فقد ثبت، ومن ثبت فقد تبين<sup>(٤)</sup>. ويرى بعض أهل العلم أن بينهما فرقاً، فقد ذكر أبو علي الفارسي في توجيهه لقراءة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، و﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أن الثبوت هو خلاف الإقدام، والمراد: الثاني، ومما يقوي ذلك قولهم: ثبت في أمرك. ولا يكاد يقال في هذا المعنى: تبين. وأما التبين فليس وراءه شيء، وقد يكون تبين أشد من ثبت<sup>(٥)</sup>.

ومن الفروق بينهما: أن «المراد من التبين: التعرف والتفحص، ومن الثبوت: الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع، والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الصحاح، الجوهري ٥/ ٢٠٨٣، لسان العرب، ابن منظور ٦٧/ ١٣.

(٢) الكليات، الكفوي ص ٨٩.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٩/ ٨١، معاني القراءات، الأزهرى ١/ ٣١٥.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/ ٢٨٦، الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه ص ١٢٦.

(٥) انظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ٣/ ١٧٤.

(٦) فتح القدير، الشوكاني ٧/ ١٠.

والراجع أن بينهما فرقاً، فلو لم يكن بينهما فرق لما جاءت القراءة الأخرى باللفظ الآخر، فهناك فرق بينهما، والذي أراه -والله أعلم- أن التبين يكون بالبحث في الوسائل المادية التي من شأنها أن ترى وتبان، بينما التثبت يكون من جهة الأمور المعنوية كالسماع.

## ٢ النظر:

### النظر لغة:

يقصد به في اللغة التأمل والتفحص، يقال: نظره، أي: تأمله بعينه<sup>(١)</sup>.  
وعبارة الراغب: «نظرت إلى كذا -إذا مددت طرفك إليه-: رأيته أو لم تره، ونظرت فيه: إذا رأيته وتدبرته»<sup>(٢)</sup>.

### النظر اصطلاحاً:

تقليب البصر والبصيرة؛ لإدراك الشيء ورؤيته، وقيل: هو التحديق لإدراك الصور، في أول مراتب الإبصار، ثم تليه الرؤية، وهي من لوازمه.

### الصلة بين التثبت والنظر:

يتضح من خلال تعريف التثبت والنظر أن النظر وسيلة من وسائل التثبت.

## ٣ التبصر:

### التبصر لغة:

مصدر قولهم: تبصر الشيء إذا نظر إليه هل يعرفه؟ وهو مأخوذ من مادة (ب ص ر) التي تدل على العلم بالشيء، ومعناه: التأمل والتعرف، أما التبصير فهو التعريف والإيضاح، يقال: بصره بالأمر تبصيراً وتبصرة فهمه إياه<sup>(٣)</sup>.

### التبصر اصطلاحاً:

يمكن تعريفه بأنه النظر إلى الشيء بقصد معرفته<sup>(٤)</sup>.  
وعرفه القرطبي بأنه «معرفة الشيء على الحقيقة من خلال البراهين»<sup>(٥)</sup>.  
ويمكن تعريفه بأنه: «طلب معرفة الأمور على حقيقتها من خلال البراهين الحسية التي

(١) المعجم الاشتقاقي، محمد جبل ٢٢١٩/٤.

(٢) المفردات ص ٨١٢.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٤/٦٥، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٢/٢٢٣.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٤/٦٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/٣٤٣.

يمكن للعين رؤيتها، وللبصيرة (أي: قوّة القلب المدركة) تأملها واعتقاد صحتها<sup>(١)</sup>.

الصلة بين التثبيت والتبصر:

يلاحظ أن التبصر وسيلة من وسائل التثبيت.

ولا شك بأنّ كلّ لفظة من ألفاظ القرآن الكريم لها كيائها الخاص بها، ومعانيها التي لا يمكن أن تحملها لفظة أخرى من ألفاظ الكتاب العزيز، وإنما يكون الاشتراك بين بعض الألفاظ في جزء من المعاني، لا في كلها.

٤ العجلة:

العجلة لغة:

العين والجيم واللام أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الإسراع، والآخر على بعض الحيوان، والجمع عجل وعجلات، والعجل والعجلة: خلاف البطء<sup>(٢)</sup>.

العجلة اصطلاحًا:

قال الرّاعب: «العجلة: طلب الشيء وتحريه قبل أوانه»<sup>(٣)</sup>.

وقال المناوي: «العجلة: فعل الشيء قبل وقته اللّائق به»<sup>(٤)</sup>.

الصلة بين التثبيت والعجلة:

العجلة من الألفاظ المقابلة للتثبيت، فهي ضد التثبيت.

(١) نضرة النعيم، مجموعة مؤلفين ٨/ ٣٥١٧-٣٥١٨.

(٢) انظر: مجمل اللغة، ابن فارس ١/ ٦٤٩.

(٣) المفردات ص ٣٢٣.

(٤) التوقيف، ص ٢٣٧.

## أهمية التثبت

إن للتثبت أهمية عظيمة في حياة الناس، فعندما يبني الإنسان تصورات، ويصدر أحكامه على أساس من العلم، وليس الظن والتخمين، فإن ذلك يحميه من الوقوع في ظلم الناس، واتهامهم في أعراضهم وأموالهم<sup>(١)</sup>.

والتثبت يعدّ من أجل الآداب والأخلاق التي طالب الشرع بالتحلي بها والاتصاف بها. وإن من يتأمل في واقع الناس اليوم، وينظر في الكم الهائل من الأخبار التي نسمعها في كل يوم، ويرى الاختلاف والتباين بين مصادر هذه الأخبار، يدرك عظمة هذا الدين، وسمو هذا المنهج الذي دعا إليه الإسلام، وأمر به القرآن والسنة.

ولذلك يقول سيد قطب: «التثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة، ومن كل حركة قبل الحكم عليها، هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق.

ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة، ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل، ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية

في عالم البحوث والتجارب والعلوم»<sup>(٢)</sup>. وقد جاء الأمر بالتثبت في نصوص كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلِكِهِمْ فَنُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَذِيرًا﴾ [الحجرات: ٦].

قال الشيخ السعدي: «والتثبت في سماع الأخبار وتمحيصها ونقلها وإذاعتها، والبناء عليها أصل كبير نافع، أمر الله به رسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلِكِهِمْ فَنُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَذِيرًا﴾. فأمر بالتثبت، وأخبر بالأضرار المترتبة على عدم التثبت، وأن من تثبت لم يندم، وأشار إلى الميزان في ذلك في قوله تعالى: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلِكِهِمْ﴾ وأنه العلم والتحقيق في الإصابة وعدمه، فمن تحقق وعلم كيف يسمع، وكيف ينقل وكيف يعمل، فهو الحازم المصيب، ومن كان غير ذلك فهو الأحقق الطائش الذي مآله الندامة»<sup>(٣)</sup>.

وعبر في الآية بحرف «إن» الذي يفيد التشكيك، ولم يقل: «إذا» لأنها تفيد التحقيق؛ ليرهن على أن وقوع مثل هذا الحدث في المجتمع الإسلامي على سبيل الندرة، وأن الأصل في المؤمن الصدق. والأمر في الآية بالتثبت من خبر الفاسق

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٢٢٧.

(٣) الفتاوى السعدية ص ٦٦-٦٧.

(١) انظر: أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية، عبد الله عودة ص ٥٢.

«لأن الفاسق ضعيف الوازع الديني في نفسه، وضعف الوازع يجروءه على الاستخفاف بالمحذور، وبما يخبر به في شهادة أو خبر يترتب عليهما إضرار بالغير أو بالصالح العام، ويقوي جرأته على ذلك دومًا إذا لم يتب ويندم على ما صدر منه ويقلع عن مثله»<sup>(١)</sup>.

وتتضح أهمية الثبوت في العلة والنتائج التي أمر الله من أجلها بالثبوت، فالعلة في قوله: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ «أي: تثبتوا - أيها المؤمنون - من صحة خبر الفاسق؛ لئلا تصيبوا قومًا بما يؤذيهم، والحال أنكم تجهلون حقيقة أمرهم، أو خشية أن تصيبوا قومًا بجهالة؛ لظنكم أن النبأ الذي جاء به الفاسق حقًا»<sup>(٢)</sup>.

وأما النتائج المترتبة على عدم الثبوت فذلك قوله تعالى: ﴿فَنُصِصُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ أي: فتندموا على ما فرط منكم وتتمنوا أن لو لم تكونوا فعلتم ذلك.

فالآية ترشدنا إلى وجوب الثبوت من الأخبار، والتحذير من الاعتماد على مجرد الأقوال؛ منعًا من إلقاء الفتنة بين أفراد وجماعتهم، وأخذًا بالحيلة والحذر، وعدم إيذاء الآخرين بخطأ فادح، فيصبح المتسرع في الحكم والتصديق نادمًا على العجلة،

وترك الثاني والتأمل.

وما أحوجنا في هذا الزمان لهذا الأدب الذي سهل فيه انتشار الأخبار بسرعة مذهلة، فبمجرد ضغطة زر يتنشر الخبر على الآلاف بل ملايين البشر، وبعض الناس لا يحتاج أن يضغط زرًا، بل هو بنفسه مذياع ما أن يسمع الخبر إلا ويطير به طيرانًا، وهو لم يتأكد بعد من صحة الخبر وتفصيله وأحداثه، وإنما تلقفه ونشره وأذاعه.

قال ابن الجوزي مبيّنًا أهمية الثبوت: «ما اعتمد أحد أمرًا إذا هم بشيء مثل الثبوت، فإنه متى عمل بواقعة من غير تأمل للعواقب، كان الغالب عليه الندم، ولهذا أمر الإنسان بالمشاورة؛ لأن الإنسان بالثبوت يطول تفكيره، فتعرض على نفسه الأحوال، وكأنه شاور، وقد قيل: «خمير الرأي خير من فطيره».

وأشد الناس تفریطًا من عمل مبادرة في واقعة من غير تثبت ولا استشارة، خصوصًا فيما يوجب الغضب، فإنه بنزقه طلب الهلاك واستتبع الندم العظيم، فالحل الله، الثبوت، الثبوت في كل الأمور، والنظر في عواقبها»<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت آية سورة الحجرات أمرت بالثبوت في جميع الأحوال، فإن الثبوت في حال الحروب أكد من غيرها؛ لكثرة

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦/ ٢٣١.

(٢) الوسيط، سيد طنطاوي ١٣/ ٣٠٥.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي ص ٣٨٥.

عباده ونياتهم»<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري في تفسير الآية: «فتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، ولا تعجلوا فقتلوا من التبس عليكم أمره، ولا تتقدموا على قتل أحد إلا على قتل من علمتموه يقيناً حرباً لكم ولله ولرسوله»<sup>(٣)</sup>.

نرى هنا أهمية الثبوت كيف وضحها الله سبحانه وتعالى، حتى في الحرب طلب منا الثبوت، وهي مظنة قتال وخداع وغيره من أمور الحروب التي جرت عليها. ويزداد هذا الواجب تأكيداً إذا تعلق الأمر بالدماء والأعراض والأحكام الشرعية؛ لما في انتشار الأخبار الكاذبة من ضرر عظيم، وشر جسيم.

وتبين أهمية الثبوت في ذم الله تعالى المسارعين في نقل الأخبار، فقال: **﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾** [النور: ١٥].

وتتجلى أهمية الثبوت في معرفة الأضرار الكثيرة الواقعة على الفرد والمجتمع من جراء عدم الثبوت، ف«المشاهد والواقع أن عدم الثبوت وعدم التأني يؤديان إلى كثير من الأضرار والمفاسد، فقد يسمع

الإشاعات والمغرضات في الشيطان من العزائم، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا ضَرَفْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَكَرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾** [النساء: ٩٤].

وبيان سبب نزول الآية يتبين المراد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجل في غنمة له، فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: **﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾**<sup>(١)</sup>.

«فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأموراً بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة قوية في أنه إنما سلم تَعَوِّذاً من القتل وخوفاً على نفسه - فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والثبوت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر ويتبين الرشد والصواب **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾** فيجازي كلاً ما عمله ونواه، بحسب ما علمه من أحوال

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً)، رقم ٤٥٩١، ٤٧/٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٩٤.

(٣) جامع البيان، الطبري ٧٠/٩.

الإنسان خبراً، أو يقرأ نبأ في صحيفة، أو مجلة، فيسارع بتصديقه، ويعادي ويصادق، وييني على ذلك التصرفات والأعمال التي يصدرها للمقاومة أو الموافقة، على أساس أنه حق واقع، ثم يظهر أنه كان مكذوباً، أو محرّفاً، أو مزوراً، أو مبالغاً فيه، أو مراداً به غير ما فهمه الإنسان، ومن هنا يكتوي المتسرع بلهب الندم والحسرة بسبب استعجاله وعدم تثبته<sup>(١)</sup>.

وتأكيداً لأهمية الثبوت، وزيادة في الحرص على عدم ذبوع الإشاعات والأكاذيب في المجتمع، فقد أمرت الشريعة الإسلامية المؤمنين بالإعراض عن جميع أنواع اللغو وبأية صفة كانت وهيئة تبدّت، فهي من أعمال الجهل المنهي عنها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْنَانَا وَلَكُمْ أَعْنَانُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغَى الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣﴾ [المؤمنون: ١ - ٣].

فقد بيّنت الآيات أن الثبوت والإعراض عن لغو الكلام سبب من أسباب الفلاح، وأن ذلك صفة ملازمة للمؤمنين. ولأجل ذلك حذر الشارع أشد التحذير

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن وهف القحطاني ص ١٧١.

من نقل الشخص لكل ما يسمعه، فعن حفص بن عاصم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع)<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام مالك: «اعلم أنّه ليس يسلم رجل حدّث بكل ما سمع، ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدث بكل ما سمع»<sup>(٣)</sup>.

قال النووي: «وأما معنى الحديث والآثار التي في الباب ففيها الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدّث بكل ما سمع فقد كذب؛ لإخباره بما لم يكن، وقد تقدم أن مذهب أهل الحق أن الكذب الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، ولا يشترط فيه التعمد، لكن التعمد شرط في كونه إثماً»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب)<sup>(٥)</sup>. ففي قوله صلى الله عليه وسلم: (ما

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١/١٠.

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ١/١١.

(٤) شرح صحيح مسلم ١/٧٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق. باب حفظ اللسان، رقم ٦٤٧٧، ٨/١٠٠، ومسلم في صحيحه. كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، رقم ٢٩٨٨، ٤/٢٢٩٠.

والشاهد من هذه النصوص هو: الأمر بالتثبت في الأخبار التي ينقلها الناس، هذا في عصر الهدى والنور، والعلم والإيمان، فكيف بزمان قل فيه ذلك كله؟!

ومن خلال ما سبق يتضح أن التثبت من كل الأخبار والأحداث قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم ومنهج الإسلام الدقيق، حيث إن تلقف الأخبار بغير تبين وتروي قد يحيلها أحياناً إلى غير مقاصدها، ويتج عنها بعد ذلك خطر عظيم، والاستماع إلى الكذب لا يجوز؛ لأن مداومة الاستماع إليه مدعاة لتصديقه وترديده وترويجه بين الناس، وقد يلتقط بعض السامعين الأحاديث الكاذبة، ويرويها دون أن يبين حقيقتها، فيأخذها غيره ويرويها على أنها أحاديث صادقة وحقائق واقعة، وقد يؤدي الاستماع إلى الباطل والأكاذيب إلى استقرار شيء منها في النفس ولو بدون قصد.

يتبين فيها) بيان أنه لا يتثبت من الخبر، ولا ما يدور حوله من معطيات ربما تكذب هذا الخبر، فيكون أحد الكاذبين؛ لأنه استعجال دون تبين وتروي في الكلام.

ولذلك قال ابن حجر رحمه الله: «لا يتطلب معناها، أي: لا يشتبه بفكره، ولا يتأملها حتى يتثبت فيها فلا يقولها إلا إن ظهرت المصلحة في القول»<sup>(١)</sup>.

وأخبر سبحانه أن الإنسان مسؤول أمام الله عز وجل ومحاسب عن كل صغير وجليل فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]

وتظهر أهمية التثبت في حث النبي صلى الله عليه وسلم على التأني في الأمور كلها، فقال: (التأني من الله، والعجلة من الشيطان)<sup>(٢)</sup>.

فقوله: (التأني من الله) أي: مما يرضاه، وأمر به، ويوفق إليه، ويشيب عليه (والعجلة من الشيطان) أي: هو الحامل عليها بوسوسته؛ لأن العجلة تمنع من التثبت والنظر في العواقب<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح الباري، ابن حجر ١١/٣١١.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، رقم ٢٠٢٧٠، ١٧٨/١٠، وأبو يعلى في مسنده، رقم ٤٢٥٦، ٢٤٧/٧.

وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٠٤/٤.

(٣) انظر: فيض القدير، المناوي ٣/١٨٤.

## مجالات التثبيت

التثبيت منهج إسلامي واضح المعالم، يقوم على صدقية الخبر وسلامة النقل، وهو أدب اجتماعي عام ضروري للحفاظ على وحدة الأمة، والناظر المتأمل سيجد أن التثبيت له علاقة بكل مجالات الحياة المتنوعة، وليس هناك مجال إلا والتثبيت أساس فيه، وهذا بيان لبعض المجالات التي يقوم عليها التثبيت.

### أولاً: المجال العلمي:

إن أوجب ما يدخله التثبيت هو المجال العلمي بكل أنواعه وتفصيله، بل إذا تأملنا لوجدنا أن التثبيت هو العلم، والعلم هو معرفة الأمور على حقيقتها، وأخص ما يدخله التثبيت في المجال العلمي التثبيت في النواحي الدينية.

ويناول البحث في موضوع التثبيت في النواحي الدينية أمرين:

الأول: التثبيت في نقل كلام الله تعالى.

يقول ابن القيم: «وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى: ﴿قَدْ لَبَّأْتَ حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم رتب بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله، وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه<sup>(١)</sup>.

إن التقول على الله بغير علم ولا دليل «هو سبب تحريف الأديان، والابتداع في الدين الحق، وهو منهج أدعياء التجديد، وتخطي الشريعة باسم الاجتهاد»<sup>(٢)</sup>.

إن من أخطر أنواع التثبيت: التثبيت في القول على الله تبارك وتعالى؛ لأن القول على الله بغير علم من أشد المحرمات، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

أي: «في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه، فكل هذه قد حرمها الله، ونهى العباد عن تعاطيها؛ لما فيها من المفساد الخاصة والعامة، ولما فيها من الظلم والتجرؤ على الله، والاستطالة على عباد الله، وتغيير دين الله وشرعه»<sup>(٣)</sup>.

فلا بد إذن من الحذر في القول على الله بغير علم، فإنه كذب وحرام، وكثيرًا ما

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم ١/ ٣٨.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي ٨/ ١٩٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٨٧.

في بعض تلك الفتاوى والآراء، يبادرك بضرورة اتساع الصدر للرأي المخالف؛ لأنه ما زال العلماء يختلفون ولا ينكر بعضهم على بعض! وهذا حق لا شك فيه لو أنه صادر عن من يحق له الفتوى والاجتهاد من أهل العلم الراسخين، أما وإنه صادر في أغلب الأحوال عن غير أهله؛ فكيف يراد منا أن نعدر فيه المخالف؟! ونحسب أن بعض المفتين في هذا الزمان أحق بالسجن من السراق! (٢).

والأخطر من هذا أن بعض محاضن الصحوّة الإسلامية لم تسلم من هذه الفوضى الفقهية والمنهجية، وإذا كان المربون ورواد العمل الدعوي يتحدثون في وقت مضى عن الموازنة بين العزائم والرخص؛ فإن بعض المعاصرين تجاوزوا الرخص إلى الوقوع في بعض المنكرات الواضحات بحجة الواقعية، وتغيّر الزمان، وعموم البلوى، وضرورة تقديم المصالح الدعوية، وإعادة قراءة مقاصد الشريعة، ونحوها من المعاذير الباردة التي أوجدت مناخاً دعوياً مهيئاً للتفلت من القيود الشرعية، ولا نبالغ إذا قلنا: إن بعض الدعاة أصبحوا لا يتورعون عن ممارسة بعض المناورات السياسية والحزبية، ويقع أحياناً فيما تقع فيه بعض التجمعات الحزبية العلمانية!

نسمع الناس يقولون: قال الله في الحديث القدسي، بدون تثبت من مصدر هذا القول، ناسيين إليه سبحانه ما لم يقله، فلماذا هذه الجراءة على الله؟! ولماذا هذا التسرع وعدم التثبت في القول على الله؟!

ومن هنا كان القول على الله بغير علم سبباً للضلال والإضلال.

إن حاجة العلماء والدعاة وطلاب العلم إلى التثبت في النقل عن الله - خاصة في مجال الفتيا - ماسة وخطيرة؛ لأنهم من يصدر الأحكام، ويطبّق النصوص على الوقائع والأقوال، فلا بد من التثبت من الواقعة وملابسات حدوثها، وصحة صدور القول من قائله، ومراده منه ومقصده، والتحري من توافق ذلك مع النص عند تنزيله عليه.

إنّ ثمة حقيقة لا شك فيها؛ وهي أن الساحة الإسلامية تشهد فوضى فقهية تناول فيها بعض أدعياء العلم وأنصاف المثقفين على الفتوى، فراحوا يخوضون فيها بدون ورع أو تثبّت، بل تجرؤوا على المسائل الكبار التي لو عرضت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر! (١).

والعجيب أنّ بعض الناس عندما تراجعوا

(١) انظر: أدب المفتي والمستفتي، ابن الصلاح ص ٧٦.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٨٥.

الثاني: التثبت في نقل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

التثبت في النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ضروري، والأصل فيه قوله صلى الله عليه وسلم: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه: أن بشير العدوي جاء إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم... فجعل ابن عباس رضي الله عنهما لا يأذن (أي: لا يصغي) لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس! ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ولا تسمع! فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بأذاننا؛ فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف<sup>(٢)</sup>.

وهذا النص يفيد أن العلماء والأئمة كانوا

يتثبتون أشد التثبت في تلقي العلم، ويتحرون في نقلته ورواته، وبخاصة بعد أن ظهرت الفتن وكثر الابتداع؛ ولهذا قال محمد بن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد؛ فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالكم؛ فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع ولا يؤخذ حديثهم»<sup>(٣)</sup>.

ولأهمية التثبت في النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان السلف يحتاطون ولا يأخذون برواية الضعيف، فعن ابن أبي الزناد: «أدركت بالمدينة مائة مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث، يقال: ليس من أهله»<sup>(٤)</sup>.

وقد كان للصحابة رضي الله عنهم منهج واضح في تلقي الأخبار والروايات، فقد كانوا إذا بلغهم الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاطون في قبوله بطلب الشهادة أو اليمين؛ لمزيد من التأكيد والتثبت.

فعن قبيصة بن ذؤيب، أنه قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال: ما لك في كتاب الله تعالى شيء، وما علمت لك في سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فارجعي حتى أسأل

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في المقدمة، باب

إن الإسناد من الدين، رقم ٩، ١٥/١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في المقدمة، ١٥/١.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النباحة على الميت، رقم ١٢٢٩، ٤٣٤/١، ومسلم في صحيحه، في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم ٣، ١٠/١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، رقم ٧، ١٣/١.

بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته<sup>(٢)</sup>. ومن هنا نشأ علم الجرح والتعديل، وعلم التصحيح والتضعيف، ومعرفة ما صح وما لم يصح من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وشنّ العلماء حملة ضارية على رواة الأحاديث الموضوعة؛ لما في ذلك من كذب صريح على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإن من الإثم العظيم تساهل الناس اليوم في نقل ورواية الأحاديث الموضوعة في أبواب الترغيب والترهيب، والوعظ، وغير ذلك، وهؤلاء سيكون خصمهم يوم القيامة النبي صلى الله عليه وسلم الذي توعدّهم بقوله: (من حدّث عني بحديث يرى أنه كذب، فإنه الكاذب)<sup>(٣)</sup>.

وما أجمل كلام ابن العربي حين يقول: «على الناس أن ينظروا في أديانهم نظرهم في أموالهم، وهم لا يأخذون في البيع ديناراً

الناس، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاهما السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة، فقال مثل ما قال المغيرة ابن شعبة، فأنفذه لها أبو بكر، ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه تسأله ميراثها، فقال: مالك في كتاب الله تعالى شيء، وما كان القضاء الذي قضى به إلا لغيرك، وما أنا بزائد في الفرائض، ولكن هو ذلك السدس، فإن اجتمعتما فيه فهو بينكما، وأيتكما خلت به فهو لها<sup>(١)</sup>.

وعن أسماء بن الحكم قال: سمعت علياً يقول: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعتني الله منه

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ١٧٩٨٠، ٤٩٩/٢٩، وأبو داود في سننه، كتاب الفرائض، باب في الجدة، رقم ٢٨٩٤، ٥٢١/٤، والترمذي في سننه، أبواب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الجدة، رقم ٢١٠٠، ٤٩٠/٣، والنسائي في سننه، كتاب الفرائض، باب ذكر الجدات والأجداد، ومقادير نصيبهم، رقم ٦٣٠٥، ١١١/٦، وابن ماجه في سننه، كتاب أبواب الفرائض، باب ميراث الجدة، رقم ٢٧٢٣، ٢٦/٤، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم ١٢٣٣٧، ٣٨٤/٦، والحاكم في المستدرک، رقم ٧٩٧٨، ٣٧٦/٤.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». ولم يتعقبه الذهبي. وضعفه الألباني في إرواء الغليل ١٢٤/٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب أبواب فضائل القرآن، باب في الاستغفار، رقم ١٥٢١، ٦٣٠/٢، والترمذي في سننه، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، رقم ٤٠٦، ٥٢٤/١، والنسائي في سننه، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يفعل من بلي بذنب وما يقول، رقم ١٠١٧٥، ١٥٩/٩. وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين، رقم ٨/١.

الخبر فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ  
أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ  
وَلِأُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ  
مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ  
الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

يقول الشيخ السعدي: «هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين وسروراً لهم وتحرراً من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة. وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولّى من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر

معيًا، وإنما يختارون السالم الطيب؛ كذلك في الدين لا يؤخذ من الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما صح سنده؛ لثلا يدخل في خبر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينما هو يطلب الفضل إذا به قد أصاب النقص، بل ربما أصاب الخسران المبين»<sup>(١)</sup>.

### ثانيًا: المجال الأمني:

لا يخفى على أحد أهمية الأمن للفرد والمجتمع والدولة، بل وللعالم أجمع؛ وذلك لما يتحقق في الحياة الآمنة من استقرار وهدوء، ونهضة إنسانية في جميع المجالات الحيوية.

ومن ضمن مقاييس قوة الدولة اليوم هو مدى ما يتحقق فيها من الأمن والأمان للقاطنين والمقيمين فيها.

كما أن الأمن أصبح في العصر الحاضر مطلبًا مهمًا، وضرورة ملحة، ومبتغى عزيزًا في ظل الظروف القلقة والأحداث الدامية، والعواصف المدمرة التي تشهدها كثير من الدول والمجتمعات العالمية.

ومن هنا تنبع أهمية التثبيت في المجال الأمني، وقد أنكر الله سبحانه وتعالى على من نشر كل خبر جاءه في أمن أو خوف دون التثبت ومراجعة أهل الاستنباط بذلك

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ٦/ ٤٤٠.

ففي الآية إنكار على من يبادر إلى نقل الأمور قبل التحقق منها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها أساس من الصحة.

فنفهم من الآية أنه قد يذاع الخبر عن اضطرابات أمنية من مصادر غير موثوقة إلى الجهلة أو المنافقين، أو ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالقضايا العامة، فيبادرون إلى إذاعته ونشره، وترويجه بين الناس، وهذا أمر منكر يضر بالمصلحة العامة، وتحصل به المفسدة.

«ولا يخفى أنه ينبغي التنبيه للأثار السيئة لعدم التثبت على مستوى الأمن الخاص والعام، وأنه يجب تفويت الفرص على مروجي الإشاعات في محاولاتهم اختراق أمن المجتمعات الإسلامية، والعبث في مقوماتها، ومحاولة البعض الفتك بنفسية الأفراد والمجتمعات، وجعلهم فريسة سهلة للأراء والأفكار والدعاوى السيئة؛ لكي يقوموا بتنفيذ أغراضهم وأهدافهم، وينفشوا سمومهم الخبيثة في المجتمعات الآمنة، والسعي لترويج مناهجهم المنحرفة وأفكارهم الفاسدة»<sup>(٤)</sup>.

الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان؟ أم لا فيحجم عنه؟<sup>(١)</sup>.

وقد ورد من الأسباب التي نزلت لأجلها الآية ما يوضح أهمية التثبت في الناحية الأمنية، وعدم الاستعجال بإذاعة الأخبار التي تضر بأمن واستقرار الأفراد والمجتمعات، فقد ذكر أنها نزلت في أهل النفاق أو ضعفاء الإيمان، كانوا إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف من الأعداء، أذاعوا بالحديث، حتى يبلغ عدوهم أمرهم<sup>(٢)</sup>.

ولذلك قال الزمخشري حول هذه الآية: «هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمور، كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل **﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾** وكانت إذاعتهم مفسدة، ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولى الأمر منهم - وهم كبراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون منهم - **﴿لَعَلَّمَهُ﴾** علم تدبير ما أخبروا به **﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾** الذين يستخرجون تدبيره بفتنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكائدها»<sup>(٣)</sup>.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٩٠.

(٢) انظر: الدر المنثور، السيوطي ٦٠١/٢.

(٣) الكشف، الزمخشري ٥٤١/١.

(٤) الإشاعة وآثارها في المجتمع، عبد الرحيم المغذوي ص ٢٩٠.

### ثالثاً: المجال الاجتماعي:

«ينفرد المجتمع الإسلامي عن سائر المجتمعات الأخرى أنه مجتمع انبثق من العقيدة الإسلامية، فالعلاقة الاجتماعية التي تربط أفراده تقوم على أساس العقيدة الإسلامية»<sup>(١)</sup>.

والمجتمع في نظر الإسلام لا يقوم على الروابط المادية فقط، بل هنالك ما هو أهم، وهو الروابط الإيمانية والأخلاقية والأدبية، وهذا ما يفسر لنا قيمة المجتمع المسلم وتميزه عن غيره من المجتمعات، بل إن الإسلام ذهب إلى أبعد من ذلك، حينما «عمل على إقامة ذلك المجتمع الفاضل في كل أنحاء الأرض؛ لأنه دين يخاطب الإنسانية كلها»<sup>(٢)</sup>.

«والإسلام يربي أبناءه وأفراد مجتمعه على التحلي بمعاني الإيمان، وما يفرضه عليه من التزام ومسئولية تجاه نفسه أولاً، وتجاه المجتمع الكبير الذي يعيش فيه ثانياً»<sup>(٣)</sup>.

ومن لوازم تلك المسؤولية وجوب الثبوت فيما يخص العلاقات الاجتماعية من

زواج وطلاق، وما يحدث بين الجيران من علاقات سلبية، وما يحدث في المجتمع من مجريات الحياة المتنوعة.

ومن لوازم تلك المسؤولية أيضاً: عدم القيام بإيذاء المجتمع بأي نوع من أنواع الإيذاء الحسي والمعنوي، ولعل عدم الثبوت وما يجره من نشر الشائعات في العلاقات الاجتماعية من أخطر أنواع الإيذاء الاجتماعي.

وقد نذبت الشريعة الإسلامية إلى كل ما يكفل على المسلمين وحدتهم، ويحقق مقاصدهم، ويحفظ اجتماعهم من الإشاعات المغرضة الفاسدة الناتجة عن عدم الثبوت.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وحذرت من كل ما من شأنه أن يشيع الفاحشة في المجتمع ويقطع أوصاله ونسيجه فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

ولعل من أخطر الأمثلة على تأثير عدم الثبوت على العلاقات في المجتمع المسلم، ما حدث في قصة الإفك التي رमित بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وفي هذه

(١) مجتمعنا المعاصر، عبدالله المشوخي ص ٣٧.

(٢) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، أبو زهرة ص ١٢٢.

(٣) الدعوة وصلتها بالحياة، عبد الرحيم المغذوي ص ٢٢٢.

الله، لا تقتله، ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج، حتى هموا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فنزل، فخفضهم حتى سكتوا<sup>(١)</sup>.

والمأمل في أحداث واقعة الإفك يجد «أن مروج شائعة الإفك هذه، والتي هزت كيان المجتمع الإسلامي حيثئذ هزاً عنيفاً، قد اختلق موضوعها وأقامه على أساس جانب ضئيل جداً من الحقيقة، وهو رؤية الناس لابن المعطل يقود بعيره وعليه عائشة رضي الله عنها، ثم عالج هذا القدر الضئيل جداً من الحقيقة بالمبالغة، وجسمه بطريقة انفعالية، ومزجه بجوانب من شطحاته الخيالية، وصاغه صياغة خبيثة يسهل على الذين يوجه إليهم الشائعة استيعابها وترديدها»<sup>(٢)</sup>.

فحادثة الإفك كادت تفتك بالمجتمع الإسلامي بأسره، لولا أن النبي صلى الله عليه وسلم عالج هذه القضية بتأنٍّ، وتروٍّ، وتثبت.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، رقم ٢٦٦١، ٣/١٧٣، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب رقم ١٠، رقم ٢٧٧٠، ٤/٢١٣٠.

(٢) بحوث في الإعلام الإسلامي، محمد فريد ص ٤٥.

الحادثة التي هزت كيان المجتمع الإسلامي حيثئذ هزاً عنيفاً العديد من الدروس والفوائد التي ينبغي لكل فرد في المجتمع المسلم أن يقف عندها ويستفيد منها، ويحذر كل الحذر من عدم التثبت والإشاعات المغرضة.

وهذه القصة يتضح فيها كيف كان تأثير عدم التثبت على علاقة النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها، وعلى علاقة الذين خاضوا في الإفك برسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها وأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكذلك على علاقة المجتمع الإسلامي ببعضه في ذلك الوقت.

ولعل ما يفسر ذلك ما جاء في الحديث: (فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي)، فقام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذر لك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عباد - وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية - فقال: كذبت لعمر

#### رابعاً: المجال السياسي:

تعد مجالات السياسة وجوانبها المتعددة ومسائلها المتنوعة في الأحوال الداخلية، أو الإقليمية، أو الدولية من أهم المجالات التي يجب التثبت فيها؛ حيث تعد مجالاً خصباً لانتشار الإشاعات ونموها، وبخاصة في أوقات نشوب الحروب وحدث الأزمات والتوترات، وفتور العلاقات، وتوالي وقوع الحوادث، مع ما يحيط بتلك الحوادث والوقائع من غموض وأهمية.

وقد كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم قائماً على التثبت في علاقاته السياسية، ممثلاً في ذلك أمر القرآن بوجود التثبت، فلما بلغه صلى الله عليه وسلم أن يهود بني قريظة نقضوا عهدهم الذي عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم، بعث سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عباد سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة، وخوات بن جبير، فقال: «انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فآلحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتوا في أعضاء الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس»<sup>(٢)</sup>.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يتسرع في قتال بني قريظة، ولم يأخذ بما بلغه، حتى يثبت عن طريق من يرسلهم هو صلى الله

ومن الأمثلة أيضاً على تأثير عدم التثبت على العلاقات الاجتماعية في المجتمع: ما ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

فقد كان جماع قبائل الأنصار بطنيين: الأوس والخزرج، وكان بينهما في الجاهلية حرب ودماء، حتى من الله عليهم بالإسلام وبالنبي صلى الله عليه وسلم، فأطفأ الله الحرب التي كانت بينهم وألف بينهم بالإسلام. فبينما رجل من الأوس ورجل من الخزرج قاعدان يتحادثان ومعهما يهودي جالس، فلم يزل يذكرهما بأيامهم والعداوة التي كانت بينهم حتى استبا، ثم اقتتلا، فنادى هذا قومه وهذا قومه، فخرجوا بالسلاح وصفت بعضهم لبعض، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يزل يمشي بينهم إلى هؤلاء وهؤلاء ليسكنهم حتى رجعوا، فأنزل الله في ذلك القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ أن التسرع وعدم التثبت كانا سببين رئيسيين في اقتتال المسلمين، ورفع السلاح على بعضهم البعض، فلما تيقنوا أنها نزعة شيطان تعانقوا وألقوا السلاح.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام ٣/ ٣٠٧ بتصرف.

(١) الدر المشور، السيوطي ٢/ ٢٨٠.

عليه وسلم.

ومن نماذج التثبت الجليلة في العلاقات السياسية: ما حدث من النجاشي عندما أرسلت قريش عمرو بن العاص وعبدالله بن ربيعة إلى الحبشة بعد هجرة المسلمين إليها، وكانا يحملان الهدايا إلى النجاشي وبطارقته، فقابلا النجاشي فقالا له: أيها الملك، إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم لتردهم إليهم، فهم أعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. فقلت بطارقته حوله -وقد تسلموا الهدايا مسبقاً- صدقا أيها الملك، قومهم أعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما، فليردوهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النجاشي ثم قال: لا لعمر الله، إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهن منهن وأحسن جوارهن ما جاوروني.

ثم أرسل النجاشي إليهم، فتكلم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام،

ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترنك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فلما سمع النجاشي منهم، والتقى بهم مرة أخرى على أثر وشاية من عمرو بن العاص، وسمع منهم ثانية، قال النجاشي لهم: اذهبوا، فأنتم شيوم<sup>(١)</sup> بأرضي، من

(١) الشيوم: الآثمون.

وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا. وتصيبه الإغماء بين الحين والآخر.

فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تخيب ظني فيه اليوم، وسأله عمر عن هذه الشكوى، فقال: لا أخرج إليهم حتى يتعالى النهار لأنه ليس لأهلي خادم فأعجن عجينهم، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم.

وأما قولهم: إني لا أجيب أحدًا بليل، فإني جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لربي عز وجل.

وأما قولهم: إن لي يومًا في الشهر لا أخرج إليهم فيه، فإنه ليس لي خادم يغسل ثيابي، ولا ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار.

وأما قولهم: تصيني الإغماء بين الحين والآخر، فإني شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قریش لحمة، ثم حملوه على جذع، فقالوا: أتحب أن محمدًا مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدًا شيك بشوكة، فكلما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أو من بالله العظيم، إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبدًا، فتصيني تلك الإغماء. فقال عمر: الحمد لله الذي لم يخيب ظني فيه، فبعث إليه بألف دينار ليستعين بها على

سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبرًا<sup>(١)</sup> من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله من الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه، فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاء به، وأقام المسلمون عنده بخير دار مع خير جار<sup>(٢)</sup>.

فالنجاشي لم يسارع ويأخذ بكلام عمرو بن العاص ومن معه، وإنما تأنى وأرسل إلى المسلمين واستمع منهم، وثبت من حالهم. ويكون الثبت أكد في المجال السياسي حينما يتعلق الأمر بأولياء الأمور والحكام وقادة البلاد، فيجب الثبت مما ينسب إليهم، ويحكى عنهم، من تجريح، واختلاق الأكاذيب، والافتراءات عليهم، ومحاولة تنفير الناس منهم، أو تعميق الفجوة فيما بينهم وبين مواطنهم.

ومن النماذج المهمة في هذا الأمر: ما ورد أن أهل حمص شكوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عامله عليهم سعيد بن عامر قالوا: نشكو منه أربعًا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. ولا يجيب أحدًا بليل.

انظر: السيرة النبوية، ابن هشام ٢٨٩/١.

(١) الدبر بلسان الحبشة: الجبل.

انظر: السيرة النبوية، ابن هشام ٢٨٩/١.

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام ٢٨٩/١.

حول الأمور الاقتصادية، كالمسائل المتعلقة بالبيع والشراء، والأثمان، والسلع المختلفة، وكذا الأمور المالية والنقدية والتجارية بصفة عامة؛ حيث إن أكثر من يتأثر بهذه الأخبار والإشاعات أصحاب الأموال والثروات المالية الكبرى، مما ينعكس سلبًا بالتأثير على اقتصاد الدولة.

ومن الأمور الحيوية الأكثر تأثيرًا في المجال الاقتصادي: سوق المال (البورصة)، فهذه السوق تتأثر سلبًا وإيجابًا بالأخبار الصادقة والكاذبة جراء التثبت وعدمه.

ومن صور التأثير السلبي على سوق المال نتيجة لعدم التثبت: «ما يقوم به بعض المضاربين من الاتفاق فيما بينهم من خلال التوصيات عبر الوسائل الحديثة، من: (الجوال أو المتدليات أو البريد الإلكتروني أو تويتر أو فيس بوك) على شراء سهم من الأسهم المدرجة بغرض رفع قيمته إلى حد معين ثم بيعه بكميات كبيرة، وهو ما يسمى بـ (الجروبات)؛ ولأن الغرض منها إيهام المتداولين بأن هذا هو السعر المناسب للسهم حتى يقبلوا على شرائه بعد ارتفاعه، ثم يصعب خلاصهم منه بعد تصريفه من قبل تلك المجموعات (الجروبات).

والهدف من هذا البيع: إيهام المتعاملين أن تغيرات سعرية حدثت للورقة المعنية،

حاجته، ففرقها على المحتاجين<sup>(١)</sup>.

فأهل حمص أشاعوا عن أميرهم هذه الأمور، وجعلوها منقصة في حقه دون أن يشتوا أو يتبينوا، وشكوا ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي أزاح هذه التهم عن سعيد بن عامر عن طريق التثبت والتبين.

فالواجب على الفرد والمجتمع المسلم أن يتنبه إلى الأخطار المحدقة من جراء الإشاعات وعدم التثبت في الميدان السياسي، والعواقب الوخيمة الناتجة عن ذلك، وأن يتنبه المسلم إلى طبيعة العلاقة المثلى الواجبة بين الحاكم والمحكوم، والراعي والرعية، التي شرعها الإسلام الحنيف، وميَّزها عن غيرها من العلاقات.

#### خامسًا: المجال الاقتصادي:

للاقتصاد أهميته في حياة الفرد والمجتمع، بل وفي العالم أجمع. ويرتبط العالم اليوم بروابط اقتصادية كبيرة، فما يحدث في منطقة أو دولة من دول العالم -غالبًا- تتأثر بها بقية الدول سلبًا أو إيجابًا، وبخاصة في حالات الحروب والكوارث.

وبناء على ذلك فالتثبت في مجال الاقتصاد من الأهمية بمكان، فيجب عدم نشر الإشاعات والأخبار غير الموثوق فيها

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي ٢٥٧/١.

وأن تعاملًا نشطًا يجري عليها، ولما كانت البورصات تقوم بنشر كافة المعلومات بشأن الصفقات أولاً بأول، فإن هذه السلسلة من البيوع للأوراق المالية من شأنها أن تؤدي إلى انخفاض قيمتها السوقية بشكل يوحى بتدهور حالة المنشأة المصدرة لها، وهنا يصاب البعض بالذعر مما يدفعهم إلى التخلص مما يمتلكونه من هذه الأسهم، الأمر الذي يترتب عليه عروض كبيرة بدون طلب مواز فيهبط السعر، وعندها يتدخل المستثمر المخادع مشترئاً، ويحدث عكس ما تقدّم في المضاربة على البيع<sup>(١)</sup>.

فالتبث وعدمه في الأمور الاقتصادية له أثر كبير في نمو أو تدهور الحالة الاقتصادية للمؤسسات والشركات والدول.

### سادساً: المجال القضائي:

إن حاجة الإنسانية إلى القضاء بمنزلة حاجتها إلى الشمس والهواء، فلو رفع القضاء من حياتها لهبطت إلى دركة البهائم والعجاوات، وأكل قويا ضعيفها، وكبيرها صغيرها.

ومهمة القضاء في الإسلام هي إرساء دعائم العدل؛ ولهذا كان للقضاء في الإسلام

منزلة رفيعة سامية، فهو فريضة من أقوى الفرائض، وعبادة من أشرف العبادات لمن ابتغى به وجه الله تعالى؛ لأنه إظهار للعدل، وإزالة للباطل، وبالعدل قامت الأرض والسموات.

وحاجة القضاء إلى التثبيت قبل إصدار الأحكام واضحة جلية، فلا يمكن تحقيق العدل في القضاء إلا بالتثبيت والتبيين.

ولقد نبه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إلى أن مجال القضاء هو المجال الأحوج إلى اعتماد منهج التثبيت في الحكم، فقال: «الأمر بالتبيين أصل عظيم في وجوب التثبيت في القضاء، وألا يتبع الحاكم القيل والقال، ولا ينصاع إلى الجولان في الخواطر من الظنون والأوهام»<sup>(٢)</sup>، وذلك لأن خطأ القاضي خاصة في الإدانة والحكم، وهو يقضي في اليوم في أكثر من قضية تضيق به الحقوق، وتتضرر به الأعراض، فكان مطالباً أكثر من غيره بالتثبيت.

ومن لوازم التثبيت في القضاء:

أولاً: أن يسمع القاضي من الخصمين، لا أن يسمع كلام خصم دون الآخر؛ فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال: فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني، وأنا حدث لا أبصر القضاء؟ قال:

(١) انظر: صناديق الاستثمار في البنوك الإسلامية، أشرف دوابه ص ١٣٣، تطهير الكسب الحرام في الأسهم والصناديق الاستثمارية، عطية فياض ص ٣٤.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٣١.

ثالثاً: بناء الأحكام على العلم واليقين، بعيداً عن الشك والتسرع؛ لأن تبرة المذنب خير من إدانة البريء.

ومن النماذج التي ذكرها القرآن في وجوب التبث عند القضاء: ما جاء في قصة داود عليه السلام مع الخصمين، وهو ما ذكره الله في قوله: ﴿وَهَلْ أَنتَ بِبُؤَىٰ الدَّخِيمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَيْنَ بَعْضِنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَآمِدْنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۖ ۝٢٢ إِن هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۖ ۝٢٣ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَىٰ نَجْمِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمِ يُبْنِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۖ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۖ ۝٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَابٍ ۖ ۝٢٥ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ ۝٢٦ يٰمَاسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢١ - ٢٦].

فداود عليه السلام عندما سمع القضية من المدعي عرف أنه مظلوم، وأن خصمه ظلمه وبغى عليه، وتأثر داود بما سمع، وظن أن الأمر لا يتطلب سماع الطرف الآخر<sup>(٥)</sup>.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧٨/١٥.

فوضع يده على صدره، وقال: (اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه، يا علي، إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء) قال: فما اختلف علي قضاء بعد، أو ما أشكل علي قضاء بعد<sup>(١)</sup>.

ثانياً: طلب البينة والدليل على الدعوى من خلال الشهود، أو طلب اليمين من الطرف الآخر عند النكول<sup>(٢)</sup> وعدم البينة، وهي وسيلة من وسائل إثبات الحق الذي يدعيه المدعي<sup>(٣)</sup>.

فقد قال صلى الله عليه وسلم: (لو يعطى الناس بدعواهم، لادعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدعي عليه)<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٧٤٤، ١٤٣/٢، والنسائي في السنن الكبرى. كتاب الخصائص، باب ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: (إن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك)، رقم ٨٣٦٦، ٤٢٢/٧، والحاكم في المستدرک، رقم ٧٠٢٥، ١٠٥/٤.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ولم يتعبه الذهبي.

(٢) النكول: امتناع من وجبت عليه اليمين، أو له. انظر: شرح حدود ابن عرفة، الرصاع ص ٤٧٢.

(٣) انظر: نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، عبدالكريم زيدان ١/١٥٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأفضية، باب اليمين على المدعي عليه، رقم ١٧١١، ١٣٣٦/٣.

فعاتب الله داود عليه السلام على هذا الأمر؛ لأن مقتضى الثبوت أن يسمع من الطرفين، لا أن يسمع طرفاً دون الآخر.

ومن النماذج التي ذكرها القرآن أيضاً في وجوب الثبوت عند القضاء، ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنِ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً ١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنْ كُنْتُ مِنَ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ مِنْ أَفْوَاهٍ ١٠٦ وَلَا يُجِدِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ مِنْ أَفْوَاهٍ ١٠٧ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ١٠٨ هَتَأْتُهُمْ هَتُوءَ لَا جِدَلَتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ١٠٩﴾ [النساء: ١٠٥ - ١٠٩].

وسبب نزول هذه الآيات أن نفراً من الأنصار - قتادة بن النعمان وعمه رفاعه - غزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته. فسرق درع لأحدهم (رفاعة). فحامت الشبهة حول رجل من الأنصار من أهل بيت يقال لهم: بنو أبيرق. فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن طعمة بن أبيرق سرق درعي. فلما رأى السارق ذلك عمد إلى الدرع فألقاها في بيت رجل يهودي (اسمه

زيد بن السمين). وقال لنفر من عشيرته: إني غيبت الدرع، وألقيتها في بيت فلان. وستوجد عنده. فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا نبي الله، إن صاحبنا بريء، وإن الذي سرق الدرع فلان. وقد أحطنا بذلك علماً. فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس، وجادل عنه، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك. ولما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الدرع وجدت في بيت اليهودي، قام فبرأ ابن أبيرق وعذره على رؤوس الناس. وكان أهله قد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهور الدرع في بيت اليهودي: إن قتادة بن النعمان وعمه عمداً إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت! قال قتادة: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته. فقال: (عمدت إلى أهل بيت يذكر منهم إسلام وصلاح وترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة؟).

قال: فرجعت، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك. فأتاني عمي رفاعه فقال: يا ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: الله المستعان، فلم نلبث أن نزلت: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنِ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً﴾

[النساء: ١٠٥] (١).

### خطر الإشاعة وضررها

منذ أن خلق الله الخليقة وجد الصراع بين القوى، صراعٌ يستهدف أعماق الإنسانية، ويؤثر في كيان البشرية، وإذا كانت الحروب والأزمات والكوارث والنكبات تستهدف بأسلحتها الفتاكة الإنسان من حيث جسده وبنائه، فإن هناك حرباً سافرة مستترة تتوالد على ضفاف الحوادث والملمات، وتتكاثر زمن الثقلبات والمتغيرات، وهي أشدّ ضراوة وأقوى فتكاً؛ لأنها تستهدف الإنسان من حيث عمقه وعطائه، وقيمه ونمائه، إنها حرب الشائعات.

الشائعات من أخطر الحروب المعنوية، والأوبئة النفسية، بل من أشدّ الأسلحة تدميراً، وأعظمها وقعاً وتأثيراً، وليس من المبالغة في شيء إذا عدّت ظاهرة اجتماعية عالمية، لها خطورتها البالغة على المجتمعات البشرية. وفيما يأتي بيان لتعريف الإشاعة وخطورها وضررها.

و«الإشاعة: فكرة خاصة تنشر ليؤمن بها الناس، تنتقل من شخص إلى آخر، ويتم هذا عادة بواسطة الكلمة التي يتفوه بها الإنسان، دون أن تستند إلى دليل أو شاهد» (٣).

وقيل: «الإشاعة: أخبار مشكوك في صحتها، ويتعذر التحقق من أصلها، وتتعلق

فأله سبحانه يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم: «إن عليك ألا تتهاون في تحرى الحق اغتراراً بلحن الخائنين وقوة جدلهم في الخصومة؛ لئلا تكون خصيماً لهم وتقع في ورطة الدفاع عنهم، والآيات فيها إيماء إلى أن الاعتقاد الشخصي والميل الفطري والديني لا ينبغي أن يظهر لهما أثر في مجلس القضاء، وإلى أن القاضي لا يساعد من يظن أنه صاحب الحق، بل عليه أن يساوى بين المتخاصمين في كل شيء».

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم في هذه القضية قبل نزول الآيات ولم يعمل بغير ما يعتقد أنه تأييد للحق، لكنه أحسن الظن في أمر يبين له علام الغيوب حقيقة الواقع فيه، وما ينبغي له أن يعامل به ذويه» (٢).

فالآيات السابقة ترشدنا إلى أنه يجب على القاضي أن يجعل الحق والصدق هدفه في جميع مواقفه، وأن يدقق فيما يعرض عليه، فلا يأخذ بظواهر الأمور، ولا ينخدع بتزويق الخصوم، وعليه أن يحذر تلبسهم ولا ينساق بأي اعتبار غير اعتبار الحق والعدل والحقيقة. ولا يتسرع في تصديق فريق وتبرئته والدفاع عنه. وأن يرجع عن الخطأ إذا ما ظهر له.

(١) انظر في سبب النزول: جامع البيان، الطبري ١٧٦/٩، تفسير ابن أبي حاتم ١٠٦٣/٤.

(٢) تفسير المراغي ١٤٧/٥-١٤٨ بتصرف.

(٣) الرأي العام، حسنين عبد القادر ص ١٤٠.

بموضوعات لها أهمية لدى الجهة الموجهة إليها، ويؤدي تصديقهم أو نشرهم لها إلى إضعاف روحهم المعنوية<sup>(١)</sup>.

وللإسلام نظرتة الحكيمة في الإشاعة حسب طبيعتها، ومن ثم ترتيب الحكم الشرعي والجزاء العادل عليها.

والمأمل في النصوص المتعددة في القرآن والسنة يجد أن الإسلام يحرم نقل الإشاعات وترويجها بين الناس بغرض الإفساد والتخريب، وهدم الكيان والبنیان الاجتماعي، وصرف الناس عن عبادة الله وعمارة الأرض، وعمل ما ينفع الناس، إلى الاشتغال فيما لا ينفع.

ومعلوم أن نقل الإشاعة وترويجها في المجتمع من أنواع الفحش والإثم والبغي التي حرمها الله عز وجل بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[الأعراف: ٣٣].

وقد تواعد سبحانه محبي رواج الإشاعة في المجتمع المسلم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحْشُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفِتْنَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

(١) أساليب مواجهة الشائعات، جمال محفوظ ص ١٩٤.

[النور: ١٩].

فإذا كان هذا جزءاً من يحب شيوع الفاحشة والإشاعة في المجتمع، فكيف يكون جزءاً مروجي الإشاعات في المجتمع المسلم؟!

وتوعده النبي صلى الله عليه وسلم بأفطع عقاب، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيت الليلة رجلين أتياني، قالاً: الذي رأيته يشق شذقه فكذاب، يكذب بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة)<sup>(٢)</sup>.

وكذلك حذرت الشريعة الإسلامية من الاستماع للإشاعات وتصديقها وقبولها، وأمرت بالتثبت والتروي عند سماعها، فقد تكون تلك الأخبار كاذبة ومضللة، ولها أهداف سامة وبغيضة وهادامة للمجتمع، بل قد تعود بالضرر البالغ على المستمع لها، ومعلوم أن لناقلي الإشاعات ومروجيها أساليب خلافة ووسائل مغرية في عرض ما لديهم، الأمر الذي يجعل المستمع لهم يقع في شباكههم، وتلتف حوله حباثلهم، فلا يستطيع الفكك منها.

قال تعالى موجهًا النصيح لعباده

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، رقم ٢٥/٨، ٦٠٩٦.

أولاً: أخطار وأضرار تتعلق بالناحية الشرعية:

فالإشاعات يعظم خطرها حينما تتناول موضوعات الشريعة الإسلامية وجوانبها المتعددة، كاتهام عقيدة الإسلام بالتهمة الباطلة، وإشاعة الكذب نحوها، كذلك الإشاعات الموجهة إلى الشريعة وما تضمنته من عبادات ومعاملات وأخلاق وحدود وغير ذلك.

ولا شك أنه لتلك الإشاعات المتعددة ضد الشريعة الإسلامية بعض الأضرار والأخطار على أبناء المجتمع المسلم، وبخاصة ممن ليس لديهم حصانة عقدية وفكرية قوية.

وقد حذر الله من الآثار السيئة المتوقع حدوثها من كيد أعداء الإسلام، وإشاعاتهم الخبيثة في المجتمع المسلم.

قال تعالى: ﴿وَأِنْ أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ يَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمَ أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ لَفَتَنِسُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

ثانياً: أضرار فكرية:

المتأمل في مسيرة التاريخ الإسلامي يجد العديد من الإشاعات التي سرت في المجتمع المسلم، واستهدفت فكره وعقله

المؤمنين: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ جَاءِ كُذِّبُوا فَيَقُولُ بِئْنَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا آيَاتُ الْكِتَابِ فَقَصِصْهَا عَلَيْنَا مَا فَعَلْتُمْ نَتَذَكَّرُ مِنْكُمْ﴾ [الحجرات: ٦].

قال الشوكاني: «المراد من التبيين: التعرف والتفحص، ومن التثبت الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر»<sup>(١)</sup>.

والشائعات لها خطر عظيم وضرر جسيم على الفرد والمجتمع وعلى مستوى الدول والحكومات<sup>(٢)</sup>، فبجانب أضرارها المعروفة من:

- ❖ اتهام البريء بما ليس فيه.
- ❖ تلوث الذمم والألسنة نتيجة الخوض في أمور بلا تثبت.
- ❖ انعدام الثقة المتبادلة في المجتمع.
- ❖ شماتة الناس، وخاصة إذا كان منشأ الإشاعة من العاملين في حقل الدعوة وشباب الصحوة.
- ❖ فإن لها أضراراً وأخطاراً أخرى في مجالات متنوعة، يتجلى ذلك في عدة أمور:

(١) فتح القدير، ٦٠/٥.

(٢) انظر: الإشاعة وأثرها في المجتمع، عبدالرحيم المغذوي ص ٢٥٨، اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي، عباس حسيني ص ٥٣.

وشعوره، وأثرت في معطياته ومنجزاته، وخاصة في العصر الحاضر، وذلك رغبة في الهيمنة الفكرية على العالم الإسلامي، ولتأكيد ذلك فقد استخدم أعداء الإسلام سلاح الإشاعات التي يحملها الغزو الفكري لتحقيق مآربهم، مما أسفر عن كثير من الانحرافات الفكرية في بعض المجتمعات الإسلامية، وولدت لديها بعض الشكوك والمخاوف من الشريعة الإسلامية دون دليل تستند عليه أو برهان تنطلق منه.

### ثالثاً: أضرار نفسية:

تتنظم الإشاعات فيما يسمى بالحرب النفسية، والتي تتوجه بالدرجة الأولى إلى نفسية الفرد والمجتمع المستهدف، فتقوم بمحاولات لاختراقها، ومن ثمّ النفاذ إلى داخلها وتحطيمها والهيمنة عليها، وإلحاق الهزيمة المروعة بها.

وقد أشار القرآن إلى نوعية هذا الأثر النفسي الخطير وأسماء بالأذى فقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَلَنْ نَصْرُوهُمْ وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]

ونظرًا لذلك كله يأمر الله تعالى المسلمين بعدم الوهن والحزن، ويذكّرهم

بأنهم في علو عن غيرهم إن تمسكوا بإيمانهم، وذلك في قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

والتأمل في أحوال المجتمعات الإسلامية اليوم يجد أن الآثار النفسية التي لحقت بها عديدة، من خلال الإشاعات التي شملت الفرد والأسرة والمجتمع.

### رابعاً: أضرار اجتماعية:

تقوم الإشاعات بإحداث آثار سلبية عديدة في حياة المجتمع، سواء على مستوى الفرد أو الأسرة أو نطاق النسيج الاجتماعي عامة.

وإذا ما سرت الإشاعة في المجتمع وحملت مضامين سيئة أو مخيفة أو محبطة أو ليست في صالح ذلك المجتمع عامة أو تلك الفئة الاجتماعية خاصة، فإن الإشاعة سوف تنجح في مهمتها، ويستجيب لها الناس، وتحدث الأثر المطلوب.

### خامساً: أضرار اقتصادية:

تقوم الإشاعات بدورها في التأثير على الحياة الاقتصادية، ومحاولة التأثير على المستهلكين أو المنتجين، سواء كانوا أفراداً أم أسراً أم مجتمعات أم شركات ومؤسسات أم دولاً ومنظمات.

ولا يخفى أن للمنافسات الاقتصادية

وهذه الإشاعات السياسية المغرضة تحدث الشكوك، وتعصف بالمجتمع، فينتج عن ذلك الأخطار العظيمة التي تهدد كيان المجتمع بأسره.

يتضح مما سبق أن الإشاعات لها أضرارها الخطيرة في مناحي الحياة الخاصة والعامة، وهي لا تقتصر على مجال محدد، بل تمتد لتشمل كل مجالات النشاط البشري.

وما يموج به سوق العمل والمال من محاولات للربح والتضخم أمر يساعد على ترويج الإشاعات، ومحاولة كل جهة نشر الإشاعات ضد أعمال ومنشآت ومنتجات الطرف الآخر ورميها بعدم الجودة أو الغش أو ارتفاع الأسعار وما إلى ذلك من إشاعات. والحقيقة أن تلك الإشاعات مضرّة باقتصاد أي مجتمع، وتنعكس سلباً على أفرادها، ولا تخدم بأي حال من الأحوال قضايا المجتمع ومساائله الاقتصادية المتنوعة.

#### سادساً: أضرار سياسية:

تكمن خطورة الإشاعات في المجال السياسي حينما تتعلق بشخصيات الحكام وأولي الأمر، ومحاولات تتبع أحوالهم وشئونهم الخاصة والعامة، وتوظيف ذلك بصورة خبيثة تهدف للنيل منهم وزعزعة مكانتهم في قلوب الناس.

كما تهدف الإشاعات إلى محاولة تدمير المجتمع عن طريق توهين رموز النظام السياسي الحاكم، أو التشكيك في مؤسساته وهيئاته، والتشكيك بالمواقف والخطط التي يضعها النظام السياسي، وتعتمد هذه الإشاعات على أسلوب التهويل والتضخيم والتشويش والتشكيك، وأخطرها ما يطلق منها أثناء الحروب والاضطرابات الداخلية.

## فوائد الثبوت

إن للثبوت فوائد كثيرة، نذكر منها<sup>(١)</sup>:

١. الثبوت علامة من علامات الإيمان.

فقد وجه الله النداء لعباده المؤمنين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلِكِهِمْ فَنُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ تَتَدَمَّرِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

فدل ذلك على أن من علامات الإيمان الثبوت في الأخبار، وبمفهوم المخالفة فإن عدم الثبوت في الأخبار يقدر في الإيمان.

٢. السلامة من الأخطاء.

إن الثبوت يجعل الإنسان المسلم قريباً من الصواب، وسالماً من الأخطاء والعيثات، فلا يتعجل ولا يتسرع في نشر الأخبار حين سماعها، بل يتأمل ويتبين قبل أن يتكلم، وينظر متفحصاً هل هذا الكلام فيه مصلحة فيقدم عليه، أو فيه مفسدة فيحجم عنه ويتوقف؛ لأنه لم يصدر عن علم<sup>(٢)</sup>.

فالثبوت يحمي الإنسان من الغم والهم اللذين يصاحبان الإنسان صحبة لها دوام، وبه يميز بين الحق والباطل، وبين الخير

والشر، ويحميه من الجهل والوقوع في الأخطاء والآثام العظام التي ربما تؤدي إلى تلف النفوس والأموال بغير حق<sup>(٣)</sup>.

لذلك كان توجيه الله للمؤمنين بالثبوت حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلِكِهِمْ فَنُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ تَتَدَمَّرِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

٣. الثقة بالمؤمنين.

فقد اتهمت عائشة رضي الله عنها بأسوأ الكذب والبهتان، وهي صاحبة الطهر والعفاف، ولحق بالمؤمنين هم وكره من جراء هذا الاتهام الباطل، حتى نزل القرآن يبرؤها من فوق سبع سموات، ويحرم على المؤمنين أن يخوضوا في هذا الباطل، ويوجب عليهم أن يثقوا بالمؤمنين، وأن يظنوا بأنفسهم خيراً<sup>(٤)</sup>، لذلك قال تعالى لهم: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (١٣) لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [النور: ١٢ - ١٣].

فالظن السيئ وإشاعة الفاحشة في المؤمنين من صفات شرار الخلق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا

(١) انظر: الثبوت والتبين في المنهج الإسلامي، العلمي ص ١٠٦، الثبوت في القرآن، محمد حسين ص ١٠٧.

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٦٠/٥، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٩٠.

(٣) انظر: الكشف ٣٦٣/٤، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٠٠.

(٤) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٨٦١/١.

وكذلك الذين قتلوا الرجل وأخذوا ماله بعد أن سلم وشهد أن لا إله إلا الله مثل أسامة بن زيد رضي الله عنه، كل أولئك لم يشعروا بالسكينة والطمأنينة في نفوسهم، بل أصابتهم الحسرة وعمهم الندم لما نزل الوحي من السماء يكشف الموقف، ويضع النقاط فوق الحروف، وتمنوا أن لم يكونوا أسلموا قبل ذلك اليوم<sup>(٢)</sup>، وصدق الله إذ يقول: ﴿فَنَصَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

فالتثبت يشعروا بالسكينة والطمأنينة، ويبعد عنا كل شعور بالحسرة والندامة على أقوال أو أفعال صدرت منا دون أن نتحقق منها.

٦. نيل محبة الله ورضاه.

فالعجلة من أبواب الشيطان، ومن شأنها أن تمنع صاحبها من الخير والتثبت والوقار والحلم، وتجلب عليه الشرور والندم. وفي المقابل فإن التثبت والتأني من الرحمن، ومن التزم بهذا الخلق العظيم نال محبة الله ورضوانه، وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم: (التأني من الله، والعجلة من الشيطان)<sup>(٣)</sup>.

(٢) انظر: آفات على الطريق، السيد محمد نوح ١٥٣/٢.

(٣) سبق تخريجه.

أخبركم بخياركم؟). قالوا: بلى. قال: (الذين إذا رؤوا ذكر الله، أفلا أخبركم بشراركم؟)، قالوا: بلى. قال: (المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون البراء العنت)<sup>(١)</sup>.

٤. المحافظة على الدماء والأموال.

فبعض الصحابة قتل نفرًا من الناس، وسلب ماله بغير تثبت، حتى نزلت فيه وفي أمثاله الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَمْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيِّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلَفَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمْنَا لَكُنَّا كُذِّبُوا تَلْتَفِتُونَ عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَوَيْدَ اللَّهِ مَعَانِدُ كَثِيرٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤].

وبالتثبت نحافظ على الدماء والأموال والأعراض، وبدون التثبت فإن كل ضرورة من ضرورات الحياة تضيق، ويضيع معها الإنسان.

٥. الشعور بالسكينة والطمأنينة النفسية.

فإن بعض الصحابة الذين خاضوا في الإفك ونشروه من غير تثبت ولا تبين،

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٢٧٦٠٢، ٥٧٧/٤٥، والبخاري في الأدب المفرد، رقم ٣٢٣، ص ١٦٨.

وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص ١٣٣.

٧. توثيق عرى الأخوة ووحدة الصف.

فالتثبت يؤدي إلى توثيق عرى الأخوة ووحدة الصف، وحفظ المجتمع من كل أسباب الخلاف والفرقة والعداوة والبغضاء. وإن عدم الالتزام بهذه الفضيلة يؤدي إلى اضطراب الصف، وإعطاء العدو فرصة للانخراط في الصف المسلم.

وإن أسباب العداوة والفرقة والبغضاء ترجع إلى اتهام المؤمنين بالظنون الضعيفة، والتجسس عليهم، وتتبع عوراتهم، والغيبة التي تأكل لحومهم وأعراضهم، والنميمة التي تفسد عليهم حياتهم، فالتثبت من شأنه أن يحفظ المؤمنين من هذه الأسباب، وأن يقيم مجتمعًا خاليًا من الحقد والحسد والظلم.

٨. حفظ الكرامات والحريات والأعراض والأموال.

فإن من شأن التثبت وعدم التسرع أن يقيم سياجًا متينًا لحفظ كرامات الناس وحرياتهم وأعراضهم وأموالهم، ويبقيها مصونة من عبث العابثين، ويحفظها من الظن الآثم والتخريب الباطل، وذلك من خلال الأمر بالتأني والتثبت، والنهي عن الاستعجال والتخمين، وسوء الظن، والخوض في الباطل، وشهادة الزور.

ومن شأن ذلك كله أن يحفظ المجتمع بما فيه من كرامات وحريات وأعراض وأموال، انطلاقًا من قوله صلى الله عليه وسلم: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا)<sup>(١)</sup>.

٩. تحقيق العدل بين الناس.

فالإسلام عندما أمرنا بالتثبت وعدم قبول الأخبار إلا بعد التمهيص والتدقيق، والتروي والتأني في إصدار الأحكام، ونهانا عن اتهام الناس بالظنون الكاذبة، وعن الكذب والغيبة والنميمة، إنما أراد من خلال هذه الأوامر والنواهي تحقيق العدل الإلهي الذي لا تصلح الدنيا والآخرة إلا به، وإعطاء كل ذي حق حقه.

١٠. تطهير المجتمع المسلم من المنافقين.

فالتثبت يظهر المجتمع المسلم من المنافقين وإرجافاتهم التي لا تنفك عن الكذب، وإحداث البلبلة والفتنة، والسعي إلى إيقاع المسلمين في الحيرة والاضطراب. فالتثبت يعلم المؤمنين أن يضبطوا ألسنتهم فلا تمتد إلى الناس بأي سوء، ولا يشيعون الفاحشة في المجتمع المسلم، مما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، رقم ١٠٥، ٥٢/١، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٨٨٦/٢، ١٢١٨.

### وسائل التثبت

هناك وسائل عديدة للتثبت بشكل عام، منها<sup>(١)</sup>:

١. عدم التسرع في تصديق الأخبار، قبل التأكد من صحتها أو كذبها.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ يَنْتَهِ فَيَقُولُ أَفَأَسْقُوهُمَا يَنْتَهِ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا يَجْهَلُونَ فَتَصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

قال ابن القيم: «هاهنا فائدة لطيفة، وهي أنه سبحانه لم يأمر برد خبر الفاسق وتكذيبه ورد شهادته جملة، وإنما أمر بالتبين، فإن قامت قرائن وأدلة من خارج تدل على صدقه عمل بدليل الصدق»<sup>(٢)</sup>.

إذاً قوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ فيه أن أمر الله بالتبين والتثبت في أمر الفاسق يدل على عدم إهمال أمر الفاسق مطلقاً في نفس الوقت الذي لا يعتمد عليه بثقة مطلقاً.

إن مما يسهم اليوم في مجانبة الحق والصواب في المواقف: المسارعة في نقل وتداول الأخبار ونقل الأحداث دون توثيق وتثبت منها، والتعامل معها كأنها صدق وحق لا ريب فيه، ومن ثم تتخذ المواقف

يؤدي إلى التماسك وثقة المؤمنين بعضهم ببعض، وعدم السماح للمنافقين بالتغلغل بين صفوفهم.

هذا الضبط اللساني الشديد أدب وخلق حرصت تعاليم هذا الدين على إيجاده في المسلمين، لذلك قال سبحانه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

(١) انظر: التثبت والتبين في المنهج الإسلامي، أحمد العليبي ص ١٠٢، نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها، أحمد الصويان ص ٤٥.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم ١/ ٣٦٨.

والأحكام المتسرعة على أساسها، ما ينجم عنه الأحكام والمواقف الجائرة التي قد يندم صاحبها عليها، لكن حين لا ينفذ الندم؛ لأنها قد طارت كل مطير. ويشد خطر هذه المواقف وإثمها إذا كانت قد صدرت من متبوع في علم أو دعوة أو جهاد.

وتؤكد أهمية الثبوت والتوثق بصورة أكبر في زماننا اليوم، الذي كثرت فيه وسائل النقل والاتصالات الاجتماعية السريعة، وتسارع الناس في نشر أي خبر والحكم عليه دون أدنى تثبت منه؛ حرصاً من الناشر على السبق والشهرة في نقل الأخبار، أو حرصاً على إلحاق الأذى والتهم بخصمه.

فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة قبل الحكم عليها، هو دعوة القرآن الكريم ومنهج الإسلام القويم، ومتى استقام القلب واللسان على هذا المنهج لم يبق مجال للظن والشبهة في عالم المواقف والأحكام. فكم من مظلوم في دينه وعرضه أو بدنه أو ماله كان سبب ذلك التسرع في نقل الأخبار وتلقيها دون تثبت وتمحيص. وكم من أواصر قطعت بين الأقارب والإخوان كان سببها الظنون الكاذبة وتلقي الأخبار والشائعات دون تثبت.

والثبوت المنشود هنا يعني نوعين من الثبوت:

١. الثبوت من صحة الخبر المسموع أو

المقروء أو المشاهد، والتوثق التام من صحته والاطمئنان إلى صدقه؛ لأنه قد يتبين بعد الثبوت أنه كذب مختلق، أو فيه زيادة ونقصان، وعند ذلك يرفض الخبر ويسلم الإنسان من نقل الأخبار المكذوبة والشائعات، ويسلم من إثم ذلك.

٢. إذا تبين صحة الخبر المنقول فلا يسوغ بناء الأحكام والمواقف منه حتى يقف وقفة أخرى من الثبوت، ألا وهي الثبوت من خلفيات الخبر والملابسات التي أحاطت به، والظروف التي عاشها من نقل عنه الخبر، ومحاولة إحسان الظن به؛ لأن في ذلك سلامة من المواقف والأحكام الجائرة التي يحكم بها على الخبر في حال عدم معرفة ملابسات حصوله؛ لأنه بمعرفة الملابسات والظروف التي أحاطت بالخبر وتسببت في حصوله، يحصل وضع الحكم والموقف منه في حجه الطبيعي دون جور أو عدوان، وقد يظهر فيه عذر ومبرر شرعي لأصحابه.

وهذا النوع من الثبوت هو ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في مواقفه من الأخبار، أو في مواقفه من الأخطاء التي تنجم عن بعض أصحابه رضي الله عنهم، فقد تكرر في مواقف كثيرة، وقبل أن يتخذ

الرسول صلى الله عليه وسلم موقفاً من صاحب الخطأ، أن يقول لصاحب الخطأ: (ما حملك على ما صنعت)، وهذا تثبت منه صلى الله عليه وسلم من أسباب وملابس الوقوع في الأخطاء. وهذا يشمل الأخبار التي تنقل عن الأفراد أو الطوائف.

٢. التأكد من ضبط النقلة وصحة فهمهم.

من القضايا المشكلة التي يغفل عنها بعض الأفاضل أنهم ينظرون إلى عدالة الناقل وأمانته، دون النظر إلى ضبطه وإتقانه في النقل.

وعندما تكون استجابة الإنسان عاطفية، فإنه - عادة - يعجز عن تمييز الحقائق، فقد يكون الناقل قد بلغ الغاية في التقوى والورع، لكنه قليل الضبط، ضعيف الحفظ لما يسمع.

وهذا يذكرنا بقول ابن أبي الزناد: «أدركت بالمدينة مائة مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث، يقال: ليس من أهله»<sup>(١)</sup>.

ومن الناس من يسمع الخبر، وينقله على غير وجهه، ليس من باب الكذب والخيانة، ولكنه لم يستطع أن يفهم الكلام على وجهه الصحيح، فالله سبحانه لم يرزقه حسن الفهم والتمعن، ولهذا تراه يقول الناس ما لم

يقولوا، ويحمل كلامهم ما لم يحتمل. إن هناك تفاوتاً كبيراً بين الناس في الإدراك والقدرة على تفسير الأحداث، وحينما يفهم السامع من كلام القائل شيئاً، ثم ينقل للناس مفهومه هو - لا منطوق القائل ونص كلامه - فإن هذا سوف يؤدي إلى لبس شديد عند الناس.

وعدم مراعاة هذه الجوانب والتنبه لها قد يؤدي إلى التسليم ببعض الأخبار الواهية التي ليس لها أساس من الصحة، ثم تؤدي هذه الأخبار دورها في إثارة الضغائن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكثير من الناقلين ليس قصده الكذب، لكن المعرفة بحقيقة أقوال الناس من غير نقل ألفاظهم وسائر ما به يعرف مرادهم، قد يتعسر على بعض الناس، ويتعذر على بعضهم»<sup>(٢)</sup>.

٣. الاعتماد على القرائن في قبول الأخبار وردّها.

إذا نقل الخبر عن أحد من العلماء أو الدعاة، ولم يتأكد لنا صحة النقل، أو صحة فهم الدلالة، فينبغي أن يعرض ذلك الخبر على أقواله وأفعاله السابقة واللاحقة، ويقاس بطريقته وأحواله، فإن خالف ذلك الخبر المعروف من سيرته وقوله، كانت هذه قرينة مهمة في رد الخبر، أو حمله على المعروف من حاله.

(٢) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية ٦/ ١٩٣.

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، ١/ ١٥.

وهذا من الوسائل المفيدة جدًا في تمييز الأخبار وتنقيحها، قال ابن القيم: «والكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريد بها أحدهما أعظم الباطل، ويريد بها الآخر محض الحق، والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه، وما يدعو إليه وينظر عليه»<sup>(١)</sup>.

وقال السبكي: «فإذا كان الرجل ثقة مشهودًا له بالإيمان والاستقامة، فلا ينبغي أن يحمل كلامه وألفاظ كتاباته على غير ما تعود منه ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح، وحسن الظن الواجب به وبأمثاله»<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمثلة التطبيقية على ذلك ما نقل عن الجنيد أنه قال: «انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن تيمية: «فهذا ما أعرفه من كلام الجنيد. وفيه نظر هل قاله، ولعل الأشبه أنه ليس من كلامه المعهود؛ فإن كان قد قال هذا فأراد عدم العلم بما لم يصل إليه؛ لم يرد بذلك أن الأنبياء والأولياء لم يحصل لهم يقين ومعرفة وهدى وعلم؛ فإن الجنيد أجل من أن يريد هذا، وهذا الكلام مردود على من قاله»<sup>(٤)</sup>.

ثم قال ابن تيمية: «كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وما ثم معصوم من الخطأ غير الرسول؛ لكن الشيوخ الذين عرف صحة طريقتهم علم أنهم لا يقصدون ما يعلم فساده بالضرورة من العقل والدين»<sup>(٥)</sup>.

٤. عدم التسرع في اتخاذ الأحكام والقرارات.

وينبغي التفكير والتبصر في عاقبة التسرع في الحكم، وما يؤدي إليه من الندامة، وتمني عدم وقوعه.

فالعاقل هو الذي يتأنى ويتأمل ويثبت، ولا يتسرع، ويعرف عاقبة عدم الالتزام بذلك. قال لقمان الحكيم: «إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة»<sup>(٦)</sup>.

٥. الجمع بين طرفي الخصومة والاستماع إليهم، وعدم الحكم لطرف قبل التثبت والسماع من الطرف الآخر. الجمع بين طرفي الخصومة وسيلة من وسائل التثبت التي من شأنها أن تعطي حكمًا صائبًا صحيحًا خاليًا من الظلم والجور. ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه أسلوب التثبت في القضاء.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال: فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني، وأنا حدث لا أبصر

(٥) المصدر السابق ١١/ ٣٩٣.

(٦) إحياء علوم الدين، الغزالي ٤/ ٣٩٦.

(١) مدارج السالكين، ابن القيم ٣/ ٤٨١.

(٢) قاعدة في الجرح والتعديل، السبكي ص ٩٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٩١.

(٤) المصدر السابق ١١/ ٣٩٢.

٦. مناقشة صاحب الشأن قبل الحكم.

وخير ما يوضح هذا السبب موقف النبي صلى الله عليه وسلم من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لما أخبر أهل مكة بغزو النبي صلى الله عليه وسلم لهم.

فقد روى البخاري عن علي رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ<sup>(٤)</sup>)، فإن بها ظعينة<sup>(٥)</sup> ومعها كتاب فخذوه منها)، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. فأخرجته من عقاصها<sup>(٦)</sup>، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا حاطب ما هذا؟)، قال: يا رسول

القضاء؟ قال: فوضع يده على صدري وقال: (اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه، يا علي، إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء) قال: فما اختلف علي قضاء بعد، أو ما أشكل علي قضاء بعد<sup>(١)</sup>.

وقال عمر بن عبد العزيز: «إذا أتاك الخصم وقد فقت عينه، فلا تحكم له حتى يأتي خصمه، فعمله قد فقت عيناه جميعاً»<sup>(٢)</sup>.

فلا يدفعه وجود أحد الخصمين وشعوره بأنه مظلوم أن يحكم له قبل الاطلاع على حجة الفريق الآخر، بل يجب عليه أن يسمع دعوى الخصمين قبل الحكم، فلعل الذي يظهر في هيئة المظلوم يكون قد أوقع على خصمه ظلمًا أكبر من الذي حاق به.

عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا، بقوله: فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها)<sup>(٣)</sup>.

(٤) منطقة بين مكة والمدينة قرب حمراء الأسد. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي ٣٣٥/٢.

(٥) الظعينة: كل جمل يركب، وهذا هو الأصل، وإنما سميت المرأة ظعينة؛ لأنها تركبه.

انظر: غريب الحديث، ابن سلام ٤/٤٣٧.

(٦) العقاص الضفيرة. انظر: مختار الصحاح، الرازي ص ٢١٤.

(١) سبق تخريجه.

(٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٨٤/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب من أقام البيعة بعد اليمين، رقم ٢٦٨٠، ٣/١٨٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الأفضية، باب بالحكم بالظاهر والالحن بالحجة، رقم ١٧١٣، ٣/١٣٣٧.

ظلم عظيم، فماذا سيخسر إن أرسل أو اتصل بصاحب الشأن ليتأكد منه شخصياً دون وسيط، ربما يكون هو سبب الفرقة التي حدثت والكذب الذي نقل إلينا.

٧. الظن الحسن بالمؤمنين.

فينبغي أن يقيس ما يسمعه عنهم على نفسه، فإن استبعده عن نفسه يستبعده عن غيره: وفي هذا يقول الله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

فمن الناس من يطلق لخياله العنان، ويصوغ شتى التصورات التي تنسب إلى الناس التهم، وتوقعهم في البلاء، وسوء الظن يجعل الإنسان يتجه اتجاهًا مغايرًا لما أراده الناس، ويقوم بتفسير الكلمات والوقائع والأخبار بناء على خلفيات نفسية مبيتة، فيفرغ كل كلمة من مضمونها، ويملؤها بمعانٍ أخرى عديدة ليست من مدلولها، ثم يمارس هذا الإنسان -دون وعي- نوعًا من التحليل لما يراه ويسمعه، ثم يضخم إحساسه تضخيمًا مسرفًا بدون أي تحفظ.

فالظن السيئ هو ظلم للمؤمنين، بل يتعدى إلى العدوان على أعراضهم وكرامتهم بغير حق، بل لابد من إدانة ظان السوء ليثبت ما يقول أو يتحمل الحكم الشرعي الذي يصدر بحقه فيمن قذفهم.

الله لا تعجل عليّ، إني كنت أمرأ ملصقًا في قریش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرًا ولا ارتدادًا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد صدقكم). قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: (إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) (١).

نلاحظ من خلال هذه القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل حاطبًا عن سبب فعلته، واستمع إلى جوابه وتبريره لما فعل، وناقشه في ذلك، ولم يستعجل في رميه بتهمة الخيانة، وكان صلى الله عليه وسلم يريد من خلال ذلك أن يعلمنا التبين والتثبت، وعدم الاستعجال في إطلاق الأحكام على الناس. ونستفيد من هذه القصة في واقع حياتنا، عدم الحكم على ظواهر الأمور قبل تبين حقيقتها، فربما تحدث حادثة معينة، فيتعجل الإنسان ويحكم على أشخاصها قبل معرفة الأسباب والدوافع، وسماع وجهة نظرهم، فيقع في لحومهم وأعراضهم، وفي ذلك

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الجاسوس، رقم ٣٠٠٧، ٥٩/٤.

وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهده منه  
الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في  
الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم،  
بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الرب  
والمجاهرة بالخباثت»<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة القول: حسن الظن من التبث،  
وتحريم سوء الظن بأي مسلم؛ لأنه ينافي  
التبين والتبث الذي أمر الله سبحانه وتعالى  
ورسوله صلى الله عليه وسلم في التخلق  
بهما ورتب عليهما الأجور.

٨. عدم الالتفات للألفاظ البراقة.

فكثيراً ما يسمع الإنسان مجموعة من  
الألفاظ البراقة، والعبارات الخلابة، فيغتر  
بهذه الألفاظ وتلك العبارات، وتعجبه  
بما لها من بريق وزخرف، ويتسرع ويأخذ  
بها دون تثبت. وقد لفت النبي صلى الله  
عليه وسلم إلى هذا الأمر حين قال: (إنكم  
تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته  
من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً،  
بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار فلا  
يأخذها)<sup>(٤)</sup>.

ومعنى (ألحن بحجته من بعض) أي:  
أفصح وأظن بحجته من بعض، فيزين  
كلامه حيث أظنه صادقاً في دعواه، وأن

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا  
مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ  
بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ  
لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ  
رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى  
ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو  
التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس  
في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثماً  
محضاً، فليجتنب كثير منه احتياطاً»<sup>(١)</sup>.

وقال القرطبي: «قال علماؤنا: فالظن هنا  
وفي الآية هو التهمة. ومحل التحذير والنهي  
إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها، كمن يتهم  
بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً ولم يظهر  
عليه ما يقتضي ذلك. ودليل كون الظن هنا  
بمعنى التهمة قول تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾  
وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء  
ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه،  
ويتبصر ويستمع لتحقق ما وقع له من تلك  
التهمة. فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن  
ذلك»<sup>(٢)</sup>.

ثم قال القرطبي مبيناً طريقة تمييز الظنون:  
«والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما  
سواها، أن كل ما لم تعرف له أمانة صحيحة  
وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب.

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٣٣١-٣٣٢.

(٤) سبق تخريجه.

(١) تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٢١٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٦/ ٣٣١.

الحق معه وهو كاذب»<sup>(١)</sup>.

وكثيراً ما نسمع اليوم عبر وسائل التواصل والإعلام المرئي والمسموع من كلمات وأخبار وما هي إلا تنافس القائمين بهذا العمل الإعلامي في نقل الأحداث، فكلّما يلمع الخبر الذي حصل عليه رغبة بكسب المتابعين أو المشاهدين له، حتى ولو كانت تلك العبارات مجحفة في حق أصحابها، فبعضهم يدس السم بالعسل، وخاصة ما نسمع من مطالبات مستميتة لحقوق المرأة، وكأن الإسلام قد هضم حقها، وليس خلفها إلا أهل النفاق الذين يريدون إشاعة الفاحشة بين المسلمين، بل هم لا يريدون حرية المرأة، هم يريدون حرية الوصول إليها بعد أن صانها الإسلام عن الرذائل، فالتبيين من كل خبر وحادثة ومن خلف الخبر مهم لوضوح الحقائق.

٩. الاستماع الجيد، والمراجعة الدقيقة لكل ما يطلب من الإنسان تنفيذه من أوامر.

فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال يوم خيبر: (لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه)، قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت<sup>(٢)</sup> لها

رجاء أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، فأعطاه إياها، وقال: (امش، ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك)، قال: فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: (قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله)<sup>(٣)</sup>.

فوجد أن عليّاً رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم مثبّثاً على ماذا يقاتل الناس، ثم مضى مطمئناً إلى ما طلب منه على أكمل وجه بعد أن وقف على حقيقة الأمر.

١٠. الحكم على الآخرين من خلال التجربة والمصاحبة والمعايشة.

فقد أثنى رجل على رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر: هل صحبته في سفر قط؟ قال: لا. قال: هل اتتمته على أمانة قط؟ قال: لا. قال: هل كانت بينك وبينه مداراة<sup>(٤)</sup> في حق؟ قال: لا. قال: اسكت، فلا أرى لك به علماً،

انظر: لسان العرب، ابن منظور ٣٨٦/٤.  
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، رقم ٢٤٠٥، ٤/١٨٧١.

(٤) مداراة: ملاينة.  
انظر: مختار الصحاح، الرازي ص ٨٦.

(١) مرقاة المفاتيح، الملا علي القاري ٣٠١/٧.

(٢) فتساورت: أي رفعت لها شخصي.

الناس بدعواهم، لادعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه<sup>(٣)</sup>.

١٢. أن لا يقضي القاضي مدفوعاً بشهوة التشفي أو الحقد.

ولا يستعجل في القضاء، وأن لا يقضي وهو غضبان، أو جوعان، أو نعسان، أو مرهق، ولا وهو يدافع الأخشين (البول والغائط).

١٣. عدم بناء الأحكام على الشك، بل لا بد من اليقين.

فيجب أن يفسر الشك في صالح المتهم؛ ذلك لأن اليقين لا يزول بالشك، ولأن يخطئ القاضي فيرى مذبذباً خير له من أن يخطئ ويتسرع بإدانة بريء ومعاقبته.

١٤. أن يطلب القاضي من الله أن يلهمه الرشد والصواب في الأمر كله.

فلا صواب إلا بالإلهام من الله، وإن العبد البعيد عن عون الله هالك.

١٥. الاستعانة بأهل العلم والخبرة والورع.

ويستعين بالنظر في اجتهادات السابقين من الأئمة المجتهدين، وما ينتج عن هذه

أظنك والله رأيته في المسجد يخفض رأسه ويرفعه<sup>(١)</sup>.

١١. المطالبة بالشهود أو البينة على الدعوى، أو اليمين من الطرف الآخر عند النكول وعدم البينة.

وهي وسيلة من وسائل إثبات الحق الذي يدعيه المدعي.

والأصل في ذلك ما ورد عن الأشعث بن قيس قال: كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر، فاخصمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله: (شاهدك أو يمينه)، قلت: إنه إذا يحلف ولا ييالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حلف على يمين يستحق بها مالا، وهو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان)، فأنزل الله تصديق ذلك، ثم اقترأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَآيَمَنَهُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]<sup>(٢)</sup>.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (لو يعطى

(١) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي ٨٦/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرهن، باب إذا اختلف الراهن والمرتهن، رقم ٢٥١٥، ١٤٣/٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم يمين فاجرة بالنار، رقم ١٣٨، ١٢٣/١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعى عليه، رقم ١٧١١، ١٣٣٦/٣.

### نماذج قرآنية في التثبيت

ذكر القرآن الكريم نماذج كثيرة للتثبيت  
متمثلة في عدد من القصص، وهذا بيان  
بعضها:

أولاً: قصة موسى عليه السلام  
والخضر:

وردت قصة موسى والخضر عليهما  
السلام في سورة الكهف، في قول ربنا  
سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آتِبِرَحَ  
حَقِّ أَتَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا  
﴿١٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ  
سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ  
ءَايُنَا عَدَاءٌ نَأْتِيَنَّاهُ لَقَدْ لَبِيتْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٢﴾  
قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ  
وَمَا أَنَسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ  
فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى  
ءَاتَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا  
ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا  
﴿١٥﴾ قَالَ لَهُمُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا  
عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا  
﴿١٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا أُرْسِلُ بِهِ خَبْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ  
سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا  
﴿١٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَتَّبِعْنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَقِّ  
أُحَدِّثْ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي  
السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ  
جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٢١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ

الاستعانة من تثبت تقتضيه المسالك  
الشرعية، ويؤدي إلى أن يكون الرأي أو  
الحكم أوفق للحق، وأقرب للصواب،  
وأطيب لنفس الخصوم.

١٦. دراسة النماذج العملية للتثبيت  
من خلال القرآن والسنة.

وكذلك سيرة السلف الصالح،  
ومعايشتها، والاستفادة منها في الواقع  
العملي.

على فروة بيضاء<sup>(٢)</sup>، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ على هذه القصة أنها «قصة تثبت في صورة عملية؛ ذلك أن الإنسان يبنى حكمه على ما يشاهده ويشعر به؛ ولذلك يخطئ ويتعثر كثيرًا، ولو انكشفت له حقائق الحياة، ومواطن الأمور وعواقبها، لتغير حكمه كثيرًا، ونقض ما أبرم، وتثبت أنه لا ثقة له بأحكامه، وأنه لا يصح الإسراع في الحكم، وأن حياتنا اليومية العامة مليئة بالأخطاء الفاحشة، والأحكام السريعة، والخطوات المتهورة، والآراء المرتجلة، ولو أسندت إليه إدارة هذا العالم الفسيح، لأفسد العالم وأهلك الحرث والنسل؛ لأن نظره قاصر، وعلمه محدود، وخلق من عجل، وفطر على السرعة وقلة البصر»<sup>(٤)</sup>.

وتظهر مواضع التثبت في هذه القصة فيما يأتي<sup>(٥)</sup>:

أولاً: لقد اختار الله سبحانه وتعالى لتقرير هذه الحقيقة العظيمة أعظم شخصية

مَعَى صَبْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ﴿٧٧﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّا لَنَنْصَرِّحَ بِكَ صَبْرًا ﴿٨٠﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْجِبْهُ قَدْ بَلَغْتَ مِنَ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٨١﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ فَأَقَامَهُ. قَالَ لَوْ شِئْتُ لَنَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٨٢﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٣﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٨٤﴾ وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آبَاءَهُمْ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٥﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨٦﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٧﴾

[الكهف: ٦٠ - ٨٢].

لم يذكر لنا القرآن اسم العبد الصالح الذي ذهب إليه موسى عليه السلام، لكن بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن اسمه الخضر<sup>(١)</sup>، وسمي بهذا الاسم لأنه جلس

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر، رقم ٧٤، ٤٠/١.

(٢) الأرض اليابسة.

انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، الحميدي ٥٤٢/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب بدء الوحي، رقم ٣٢٢١، ٣/١٢٤٨.

(٤) تأملات في سورة الكهف، أبو الحسن الندوي ص ٩٣-٩٤.

(٥) انظر: التثبت في القرآن الكريم، محمد حسين ص ١٢٠.

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا  
ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِزِّدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا  
(٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا  
عَلَّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا  
(٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ  
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا  
(٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَمْتَلِنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَقِّي  
أُحْدِثْ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٦٥ - ٧٠].

ثالثًا: «وتمضي الرحلة، وينكر موسى  
على الخضر عليهما السلام تصرفات أثارت  
الاستغراب والدهشة، من خرق للسفينة التي  
أقلتهما بدون أجر، وقتل للغلام الزكي الذي  
لم يبلغ الحلم، وبناء للجدار في قرية لم  
يضيفهما أهلها، لذلك لم يملك موسى عليه  
السلام نفسه أمام هذه التصرفات الغريبة  
ونسي وعده، وأسرع بالإنكار والتساؤل  
قائلًا للخضر عليه السلام: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا  
ثُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]»<sup>(٤)</sup>.

إذن لم يصبر موسى عليه السلام على  
ما قام به الخضر عليه السلام، وتسرعه هذا  
ينافي الثبوت، فلو صبر وتأنى لرأى العجب،  
لكنه أكثر الاعتراض فتعين الفراق<sup>(٥)</sup>، لذلك  
قال نبينا صلى الله عليه وسلم: (يرحم  
الله موسى لو كان صبر لقص علينا من

في عصره، وهو موسى عليه السلام، أحد  
أولي العزم، الذي ظن متعجلًا غير مثبت أنه  
أعلم الناس، فعاتبه الحق سبحانه؛ لأنه لم  
يرد العلم إليه، فعن أبي بن كعب رضي الله  
عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم:  
(أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل  
أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه،  
إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى، لي عبد  
بمجمع البحرين هو أعلم منك)<sup>(١)</sup>.

ثانيًا: بعد أن قابل موسى الخضر عليهما  
السلام، وسأله أن يعلمه من علمه، وأخبره  
الخضر أنه لن يستطيع صبرًا على ما يرى،  
وتعهد موسى عليه السلام أنه سيكون  
صابرًا، ولا يعصي له أمرًا، أخذ الخضر  
عليه السلام الشرط على موسى عليه السلام  
إن أراد صحبتته ألا يسأله عن شيء حتى  
يوضحه له ووافق موسى عليه السلام ألا  
يتسرع بالإنكار على الخضر عليه السلام  
عندما يقوم ببعض الأمور التي يبدو ظاهرها  
المنكر؛ لأن التسرع ينافي الثبوت<sup>(٢)</sup>، فقبل  
موسى عليه السلام شرطه رعاية لأدب  
المتعلم مع العالم<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير،  
باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أُبْرِحُ حَقِّي﴾  
أَتْلُغُ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْنِي حَقًّا، رقم  
٤٤٤٨، ٤/١٧٥٢.

(٢) تفسير السمرقندي ٢/٣٥٥.

(٣) معاني القرآن، النحاس ٤/٢٦٩.

(٤) تأملات في سورة الكهف، أبو الحسن الندوي  
ص ٩٥.

(٥) التفسير المنير، الزحيلي ٨/٣٢٧.

أمرهما<sup>(١)</sup>.

فتنة لهما ﴿وَأَمَّا الْفُلَّةُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].

وأن بكاء ساعة أفضل من البكاء طول الحياة، وأن الغلام يعوض، ولا عوض عن الدين والعافية ﴿فَارْزُقْنَا أَنْ يُبْدِيَ لَهُمَا رَهْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ [الكهف: ٨١].

وأصلح الجدار وأقامه؛ لأنه كان ليتيمين من أبوين صالحين، وكان تحته كنز لهما، ولو تهدم الجدار لانكشف الكنز واختطفه الناهبون، فظهر أن صلاح العمل ينفع في الحياة وبعد الممات، وأن البذور الصالحة تظهر نتيجتها كما أن البذور السيئة تظهر نتيجتها<sup>(٣)</sup>، ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

هذه القصة العظيمة درس لكل المسلمين - وخاصة الدعاة - في التاني والتثبت قبل الإنكار، وهذا يوصلنا إلى الحقيقة والصواب، والعاقبة المحمودة، فكم من قضية أو حكم كنا نجهله أو ننكره، فلما وقفنا على حقيقته تبين لنا خطأ اعتقادنا وتفكيرنا!

وقد «كان على موسى عليه السلام أن يترث ويتأني حتى يوضح له الخضر أسباب ما يقوم به، لكنه تسرع وقال كلامًا يدل على ندمه الشديد ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦].

ولما لم يلتزم موسى عليه السلام بالشرط الذي وضعه على نفسه، وأنكر إنكارًا قائمًا على العجلة وعدم التريث، قرر الخضر عليه السلام مفارقتة ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]<sup>(٢)</sup>.

رابعًا: «يمضي الخضر عليه السلام بتودة وأناة حتى تنتهي الرحلة إلى غايتها المقدرة، ويكشف القناع عن هذه القضايا الثلاث، التي كانت موضع دهشة واستغراب من موسى عليه السلام ومن كل من يقرأ هذه القصة في القرآن، فيتجلى أن الخضر عليه السلام كان مصيبيًا محسنًا، فقد أحسن إلى صاحب السفينة بخرقها؛ إذ حفظها من اغتصاب الملك الظالم ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

وأحسن إلى أبوي الغلام بقتله؛ إذ كان

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم ٣٤٠١، ٤/١٥٤.

(٢) تأملات في سورة الكهف، أبو الحسن الندوي ص ٩٥.

(٣) المصدر السابق ص ٩٦-٩٧.

ثانيًا: قصة سليمان عليه السلام والهدد:

وردت هذه القصة في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿وَنَقَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِيزِ ۚ﴾ (٢٠) **لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَاأَذْبَحَنَّكَ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۖ** ﴿٢١﴾ **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَارٍ يَفِينٍ ۚ** ﴿٢٢﴾ **إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُكُمْ هُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عَرَّشْتُ عَظِيمٌ ۚ** ﴿٢٣﴾ **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۚ** ﴿٢٤﴾ **أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ** ﴿٢٥﴾ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۚ** ﴿٢٦﴾ **قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۚ** ﴿٢٧﴾ **أَذْهَبَ بِكُنْيَتِي هَذَا فَأَلْفَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۚ** [النمل: ٢٠ - ٢٨].

تجلى مظاهر التثبت في هذه القصة من خلال الآتي (١):

أولًا: قوله تعالى: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَاأَذْبَحَنَّكَ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ففي هذه الآية عدة فوائد:

(١) انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى ٤٠٠٨/٧، القصص القرآني، صلاح الخالدي ٥٢٧/٣، التثبت في القرآن الكريم، محمد حسين ص ١٢٥.

الأولى: أن الخلل لا بد أن يعالج بالعقوبة ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَاأَذْبَحَنَّكَ﴾

وهذا يثبت أن سليمان عليه السلام كان على إحاطة تامة وعلم شامل بأمر الجند.

الثانية: لم يتسرع سليمان عليه السلام بعقاب من لم يثبت تقصيره، فربما يكون هناك عذر أو سبب لهذا الغياب، ومن ثم قال: ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ فقبل العقوبة لابد من التثبت، ومعرفة سبب الغياب.

الثالثة: دقة كلام الحاكم وإحاطته واختصاره، وإظهار الغضب إذا وجد الخلل، والتهديد بالعقوبة بحيث يسمعا الجند.

يقول سيد قطب: «ومن ثم نجد سليمان الملك الحازم يتهدد الجندي الغائب المخالف: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَاأَذْبَحَنَّكَ﴾ ولكن سليمان ليس ملكًا جبارًا في الأرض، إنما هو نبي، وهو لم يسمع بعد حجة الهدد الغائب، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائيًا قبل أن يسمع منه، ويتبين عذره، ومن ثم تبرز سمة النبي العادل: ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: حجة قوية توضح عذره، وتفتي المؤاخاة عنه» (٢).

«إذن فالسلطان المبين هو العذر اليبين»

(٢) في ظلال القرآن ٢٦٣٨/٥.

الأول: قوله: ﴿سَنَنْظُرُ﴾ وهذا يدل على النظر والتأمل، والتصفح، والتثبت من الأخبار، والكشف عن الحقائق بوجه من وجوه المعرفة والعلم<sup>(٣)</sup>.

الثاني: «قوله: ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ يلاحظ أن سليمان عليه السلام لم يشرع في تصديقه أو تكذيبه، ولم يستخفه النبا العظيم الذي جاء به، إنما أخذ في تجربة الهدد ليتأكد من صحة ما قاله ﴿أَذْهَبَ يَكْتُنِي هَذَا قَالِقَةَ الْيَوْمِ﴾ [النمل: ٢٨]»<sup>(٤)</sup>.

الثالث: لا بد للإنسان أن يتمهل، ويتثبت من الأخبار التي ترد إليه، وأن يفحصها ويتأكد منها، فإن ظهر له صدقها أخذ بها، وإن ظهر له كذبها رفضها، ولا يلام على موقفه هذا، وهذا ما فعله سليمان عليه السلام، تثبت من كلام الهدد فظهر له صدقه<sup>(٥)</sup>.

ثالثاً: قصة داود عليه السلام والخصمين:

وردت هذه القصة في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنَبِّئُكَ نَبَأَ الْخَصَمِ إِذْ سَارُوا بِالْمِحْرَابِ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري ٣/ ٣٦٧، فتح القدير، الشوكاني ٤/ ١٣٦.

(٤) الاستفادة من قصص القرآن، عبد الكريم زيدان ٤٣٠/١.

(٥) القصص القرآني، صلاح الخالدي ١/ ٥٣٥.

الواضح المقبول، وهذا الاستدراك من سليمان عليه السلام يدل على حزمه وضبطه وعدله وتثبته، فقد أعطى المتهم فرصة لبيان حجته والدفاع عن نفسه؛ لأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، أما إذا قدم عذراً أو حجة فلا بد أن يقبل منه<sup>(١)</sup>.

ونستفيد من فعل سليمان عليه السلام في واقعنا، عدم جواز إصدار الأحكام على الناس المتهمين في نظرنا، حتى يعطوا الفرصة للدفاع عن أنفسهم، والإتيان بالبيانات القاطعة التي تشهد ببراءتهم مما نسب إليهم، لكن الناس في هذه الأيام يصدر عن الأحكام الجاهزة على الناس دون أدنى تثبت، مما يجعل المجتمع المسلم أسيراً للشائعات الكاذبة التي تقوّض بنيانه.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ يَبْلُغُ يَقِينِ﴾ إن قول الهدد: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ تدل على تثبته؛ لأن الإحاطة تعني «العلم بالشيء من جميع جهاته»<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ يَبْلُغُ يَقِينِ﴾ يدل على تأكده وثيقته مما رأى وشاهد.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ومن دروس التثبت في هذه الآية:

(١) القصص القرآني، صلاح الخالدي ٣/ ٥٢٧.

(٢) نظم الدرر، البقاعي ٥/ ٤١٤.

وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءٍ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى تَعَايُجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّتَابٍ ﴿٢٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَعْزِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ [ص: ٢١ - ٢٦].

وبيان هذه القصة «أن داود النبي الملك، كان يخصص بعض وقته للتصرف في شؤون الملك، وللقضاء بين الناس.

ويخصص البعض الآخر للخلو والعبادة وترتيل أناشيده تسييحاً لله في المحراب. وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلو لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس.

وفي ذات يوم فوجى بشخصين يتسوران المحراب المغلق عليه، ففزع منهم، فما يتسور المحراب هكذا مؤمن ولا أمين! فبادرا يطمئنانه ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصَمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ وَجئنا للتقاضي أمامك﴾ ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ وبدأ أحدهما فعرض خصومته: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: اجعلها لي وفي ملكي

وكفالتني ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي: شدد علي في القول وأغلظ.

والقضية - كما عرضها أحد الخصمين - تحمل ظلماً صارخاً مشيراً لا يحتمل التأويل. ومن ثم اندفع داود يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة ولم يوجه إلى الخصم الآخر حديثاً، ولم يطلب إليه بياناً، ولم يسمع له حجة. ولكنه مضى يحكم: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى تَعَايُجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ أي: الأقوياء المخالطين بعضهم لبعض ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾.

ويبدو أنه عند هذه المرحلة اختفى عنه الرجلان، فقد كانا ملكين جاءا للامتحان! امتحان النبي الملك الذي ولاه الله أمر الناس، ليقضي بينهم بالحق والعدل، وليتبين الحق قبل إصدار الحكم. وقد اختارا أن يعرضا عليه القضية في صورة صارخة مثيرة، ولكن القاضي عليه ألا يستثار، وعليه ألا يتعجل، وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجته، فقد يتغير وجه المسألة كله، أو بعضه، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعاً أو كاذباً أو ناقصاً! <sup>(١)</sup>.

ومن دروس التثبت المستفادة من هذه

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/ ٣٠١٨.

التي لا يمكن تجاوزها، ومقتضى التثبت أن يسمع من الطرفين.

ثالثاً: نتعلم من قصة داود عليه السلام عدم جواز إصدار الحكم من غير تثبت ولا إقرار من الخصم؛ إذ هذا محل الفتنة التي كانت لداود عليه السلام، فينبغي الثاني في إصدار الأحكام، حتى تسمع الدعوى من الخصمين معاً<sup>(٤)</sup>.

رابعاً: إن من قواعد الحكم الأساسية التثبت والعدل في الأحكام، ومن مقتضيات ذلك ألا يحكم القاضي في الدعوى إلا بعد أن ترفع إليه، وألا يميل مع أحد الخصمين لقربة أو صداقة، أو محبة، أو بغض للآخر؛ فإن ذلك يخرج عن الصراط المستقيم<sup>(٥)</sup> ﴿يٰۤاٰدٰمُ اِنَّا جَعَلٰنَكَ خَلِيْفَةً فِي الْاَرْضِ فَلَحْمٌ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ السَّبِيْلَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهٗمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ يَّمْسُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

خامساً: لا يجوز للحاكم أن يحكم بعلمه الشخصي، إلا إذا كان معه شاهد آخر يعزز هذا العلم، فقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «لو رأيت أحداً على حد لم أحده، حتى يشهد عندي شاهدان بذلك»<sup>(٦)</sup>.

(٤) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٤/٤٤٤.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧١١.

(٦) انظر: تلخيص الحبير، ابن حجر ٤/١٩٧.

القصة<sup>(١)</sup>:

أولاً: لقد ورد في تفسير هذه الآيات كثير من القصص الإسرائيلية التي لا دليل عليها، وفيها ما يقدر في عصمة الأنبياء. ولذلك ردّ كثير من المفسرين هذه القصص الإسرائيلية في تفسير هذه الآيات<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: الظاهر من هذه القصة أن داود عليه السلام سمع قول المتظلم من الخصمين وهو المدعي، ولم يخبرنا القرآن عن داود عليه السلام أنه سأل المدعى عليه عما يقول المدعى، وهل يقر بدعواه أم لا؟ وهل عنده ما يدفع هذه الدعوى.

ويبدو أن داود عليه السلام عندما سمع القضية من المدعي عرف أنه مظلوم، وأن خصمه ظلمه وبغى عليه، وتأثر داود بما سمع، وظن أن الأمر لا يتطلب سماع الطرف الآخر، فقال داود عليه السلام مستعجلاً للمتظلم: لقد ظلمك، مع إمكان أنه لو سأل المتظلم منه لنفى ذلك ولم يعترف به<sup>(٣)</sup>.

والأصل أن يسمع القاضي من الخصمين، لا أن يسمع كلام خصم دون الآخر؛ لأن قضية التثبت من أصول الحكم

(١) انظر: التثبت في القرآن الكريم، محمد حسين ص ١٣٠.

(٢) انظر: معاني القرآن، النحاس ٦/٩٨، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٣٢، في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/٣٠١٨.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٥/١٧٨.

### نماذج قرآنية في عدم التثبت

من النماذج القرآنية في عدم التثبت،  
حادثة الإفك، فقد أظهرت هذه الحادثة مدى  
خطورة عدم التثبت والإشاعة على المجتمع  
المسلم، فقد افتري عبد الله بن أبي على  
عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
فرمى أحب نسائه إلى قلبه، وبنّت أحب  
أصحابه إليه بالإفك، واتهم صحابياً كريماً  
بهذه التهمة النكراء، وماجت المدينة شهراً  
كاملاً بالفتنة، وانتقل الحديث من لسان إلى  
لسان ومن بيت إلى بيت، حتى وصل خبره  
إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلم به  
أبو بكر الصديق ثم عرفته أم المؤمنين عائشة  
رضي الله عنها .

وهذه الحادثة وردت في القرآن في  
قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ  
لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَبَرٌ لَّكُم لِكُلِّ أَمرِي  
مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ  
لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ  
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأْنَفُسِهِمْ خَبَرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ  
١٢﴾ لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا  
بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ١٣﴾  
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤﴾ إِذْ  
تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّينَ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمُ  
بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ١٥﴾

فهذه القصة تعلمنا وجوب الحكم  
بالحق والعدل، ومقتضى ذلك الثاني  
والتثبت في إصدار الأحكام، من خلال  
الوقوف على الطرفين المتخاصمين، وعدم  
الاكتفاء بسماع طرف دون الطرف الآخر،  
وعدم الالتفات إلى الشائعات، والاكتفاء  
بما يشاع منها دون سماع المعني بها، فكم  
من شائعة انتشرت واشتهرت، لكنها عين  
الباطل والكذب والزور.

وصحح إسناده مع وجود انقطاع فيه.

أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها، خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاة غراها، فخرج سهمي، فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودج، وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل، فقامت حين أذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع أظفار<sup>(١)</sup> قد انقطع، فرجعت، فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، فأقبل الذين يرحلون لي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلن العلقه من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج، فاحتملوه وكنن جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فبحثت منزلهم وليس فيه أحد، فأمت منزلي الذي كنت به، فظننت أنهم سيفقدوني، فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة غلبتني عيائي، فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني وكان

(١) جزع أظفار: الجزع اسم مدينة بحمير في اليمن.  
انظر: لسان العرب، ابن منظور ٥١٧/٤.

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفِتْنَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَجِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِي أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنْ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِكِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْسُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ لَقَدْ يَشَنُّ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿[النور: ١١ - ٢٦].﴾

وجاء تفصيل الحادثة في كتب السنة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أراد أن يخرج سفراً

أتسبين رجلاً شهد بدرًا، فقالت: يا هتاه<sup>(٥)</sup>، ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضًا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلم فقال: (كيف تيكم)، فقلت: ائذن لي إلى أبي، قالت: وأنا حيثن أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيت أبي، فقلت لأبي: ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضئعة عند رجل يحبها ولها ضرائر، إلا أكثرن عليها، فقلت: سبحان الله، ولقد يتحدث الناس بهذا، قالت: فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة، فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيرًا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية

يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطئ يدها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمننا المدينة، فاشتكت بها شهرًا والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك، ويريني في وجعي، أني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلم، ثم يقول: (كيف تيكم)<sup>(١)</sup>، لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع<sup>(٢)</sup> متبرزنًا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف<sup>(٣)</sup> قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي، فعثرت في مرطها<sup>(٤)</sup>، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بشس ما قلت،

(١) تيكم: هي إشارة بالتنبية للمؤنث مثل ذا للمذكر.

انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض ١/ ١٢٥.

(٢) المناصع: موضع بعينه خارج المدينة، وكن النساء يتبرزن إليه بالليل على مذاهب العرب بالجاهلية.

انظر: لسان العرب، ابن منظور ٨/ ٣٥٦.

(٣) الكنف: المراحض.

انظر: غريب الحديث، ابن سلام ٣/ ١٤٣.

(٤) المرط: أكسية من صوف أو خز كان يؤتزرها بها.

انظر: الصحاح، الجوهري ٣/ ١١٥٩.

(٥) هتاه: لفظة تختص بالنداء. وقيل: معنى يا هتاه: يا بلهاء، كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشروهم.

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥/ ٢٨٠.



والله يعلم أنني بريئة لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلاً، إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحياً، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكنني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات، فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها، أن قال لي: (يا عائشة احمدي الله، فقد برأك الله)، فقالت لي أُمي: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: لا والله، لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ [الآيات (١)].

وقد حملت هذه القصة دلالات كثيرة على عدم الثبوت لمن خاض فيها، منها:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، رقم ٢٦٦١، ١٧٣/٣، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب رقم ١٠، رقم ٢٧٧٠، ٢١٣٠/٤.

أولاً: قصة الإفك الكذب فيها ظاهر جداً؛ لأنه لا يمكن أن تكون زوجة نبي الله صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف؛ لأن الله لا يختار لنيبه إلا الطيبات، كما قال: ﴿الْمُحْسِنَاتُ لِلْخَيْرَاتِ وَالْخَيْرَاتُ لِلْخَيْرَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦].

فمن خاض في هذه الحادثة غاب عنه هذا الأمر بسبب عدم الثبوت.

ثانياً: يظهر عدم الثبوت في هذه القصة، في عدم تأمل الخائضين في حال حامل لواء الإفك، إنه عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين والذي كان معهم في غزوة بني المصطلق - وكانت فيها حادثة الإفك -

وحدث منه ما حدث في هذه الغزوة مما ذكره القرآن في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْنَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [١] هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ۚ وَاللَّهُ خَرَّبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۖ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨ - ٥].

مرحلة الطفولة البريئة، لا تعرف الشرّ، ولا تهتمّ بمنكر، ولا تحسن الحياة إلا في فلك النبوة العالي، وهي التي تربّت في حجر صديق، وأعدت لصحبة نبي في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: الخوض في عرض عائشة رضي الله عنها وعدم الظن بها خيراً، فهذا من التعجل وعدم التثبت الذي أنكره الله على الخائضين في قوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

فهذه الآية فيها عتاب للمؤمنين، إذ كان الواجب عليهم إنكار ما سمعوه من إفك وكذب حول بيت النبوة، وأن يقيس فضلاء المؤمنين الأمر على أنفسهم، فإذا استبعدوه عن أنفسهم، فأما المؤمنون أبعد لفضلها، فقد «كان الأولى أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً، وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في مثل هذه الحماة، وامرأة نبيهم الطاهرة وأخوهم الصحابي المجاهد هما من أنفسهم. فظن الخير بهما أولى».

فإن ما لا يليق بهم لا يليق بزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يليق بصاحبه الذي لم يعلم عنه إلا خيراً<sup>(٢)</sup>.

وقد كان ظن بعض المؤمنين بزوجة

فكيف يصدّق بعد ذلك وقد حدث منه ما حدث؟!

يقول الشيخ محمد الغزالي عن موقف ابن سلول في غزوة بني المصطلق وحادثة الإفك: «لم يدر بخاطر أحد أنّ هذه الأوبة المتعجّلة سوف تتمخّض عن أكذوبة دينية يحيك أطرافها عبد الله بن أبيّ، ثم يرمي بها بين الناس، فتسير مسير الوباء الفاتك، فقد اختفى كالعقرب الخائنة، ثم شرع يلسع الغافلين، قبع هذا المنافق في جنح الظلام وبدأ ينفث الإشاعات المريبة.

وتدلّى - في غوايته - إلى حضيض بعيد، فلم يبال أن يتهجّم على الأعراض المصونة، وأن ينسج حولها مفتريات يندى لها جبين الحرائر العفيفات.

في عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق إلى المدينة، نبت حديث الإفك وشاع، واجتهد خصوم الله ورسوله أن ينقلوا شرره في كل مكان قاصدين - من وراء هذا الأسلوب الجديد في حرب الإسلام - أن يدمّروا على الرسول صلى الله عليه وسلم بيته، وأن يسقطوا مكانة أقرب الرجال لديه، وأن يدعوا جمهور المسلمين - بعد ذلك - يضطرب في عماية من الأسى والغم! !.

وللوصول إلى هذه الغاية استباح ابن أبي نفسه أن يرمي بالفحشاء سيدة لما تجاوز

(١) فقه السيرة، محمد الغزالي ص ٢٩١ بتصرف.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢٥٠١/٤ بتصرف يسير.

خامسًا: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكِمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

ويتجلى عدم الثبوت في هذه الآية في ثلاثة أمور وهي:

الأول: تلقي الإفك بالستهم بالسؤال عنه وبإشاعته، لا مجرد السماع عفواً، وإنما يأخذه بعضهم من بعض، ويذيعه وينشره بدون تحقق.

الثاني: التكلم بما لا علم لهم به، ولا دليل عليه، وهذا ينافي الثبوت، وهو حديث باللسان دون القلب «لأن من المعلوم بداهة أن التلقي إنما يكون بالأذن ثم يعرض على العقل والقلب، وحينئذ يكون الكلام باللسان، فإنما هي لفظة إلى السرعة وعدم التأني أو التروي في إصدار الحكم، بل في تداوله والتحرك به كأن الإفك عندما وقع من ابن سلول صمت الأذان، وستر العقول، وغلفت القلوب، فلم يبق إلا أن لاكنه الألسن وتحركت به الشفاه، دون فهم للواقع، ودون معرفة بالظروف والملابسات»<sup>(٣)</sup>.

ولقد صور صاحب الظلال ذلك تصويراً بديعاً حين قال: «وهي صور فيها الخفة والاستهتار، وقلة الحرج، وتناول أعظم الأمور وأخطرها بلا مبالاة ولا اهتمام: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكِمْ﴾ لسان يتلقى عن لسان،

نبههم صلى الله عليه وسلم خيراً، كما ورد أن أبا أيوب رضي الله عنه قالت له امرأته أم أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله، ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك<sup>(١)</sup>.

رابعًا: عدم إقامة البينة على هذا الإفك من الخائضين فيه: وهذا ما ذكره الله في قوله: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَقُولْتُمْ كَذِبُوهُمْ﴾ [النور: ١٣].

قال الزمخشري: «جعل الله التفصيلة بين الرمي الصادق والكاذب: ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاءها، والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم تكن لهم بينة على قولهم، فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله أي: في حكمه وشريعته كاذبين. وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدوا في دفعه وإنكاره، واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع، من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة، والتنكيل به إذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين، فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبية حبيب الله؟»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٧/ ٢١٢.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٣/ ٢١٩.

(٣) آفات على الطريق، السيد محمد نوح ٧٠/ ٢.

موضوعات ذات صلة:

المسابقة، المسارعة

بلا تدبر ولا تروّ، ولا فحص ولا إمعان  
نظر، حتى لكان القول لا يمر على الأذان،  
ولا تتملأه الرؤوس، ولا تتدبّره القلوب،  
﴿وَقُولُوا لَا يَفْوَهِكُمْ مَا يَلْسَنُ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾،  
بأفواهكم لا بوعيككم، ولا بعقلكم، ولا  
بقلبيكم، إنما هي كلمات تقذف بها الأفواه  
قبل أن تستقر في المدارك، وقبل أن تتلقاها  
العقول...»<sup>(١)</sup>.

الثالث: استصغار ذلك القول، وهو  
عند الله عظيم الإثم، موجب لشدة العقاب  
﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ قال  
الزحيلي: «وهذا يدل على أمور ثلاثة: هي  
أن القذف من الكبائر؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ  
عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ وأن عظم المعصية لا يختلف  
بظن فاعلها، وإنما بالواقع، فربما كان جاهلاً  
لعظمها، لقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾  
وأن الواجب على المكلف في كل محرم  
أن يستعظم الإقدام عليه، فربما كان من  
الكبائر»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يتبين من هذه القصة أن  
للإشاعات وعدم التثبّت دورًا خطيرًا في  
تحريك النسيج الاجتماعي، والتأثير في  
تماسكه، واللعب بعواطفه، وتوجيهه نحو  
الهاوية إذا لم يتدارك الأمر.

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٥٠٢.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي ١٨/ ١٨١.

